

الفصل الثاني

الفصل الثاني :المعالجة النظرية للطبقة الوسطى في المجتمع الرأسمالي

1/ تحولات المجتمع الرأسمالي و نشأة الطبقة الوسطى

2/الاتجاهات النظرية لتفسير نشأة الطبقة الوسطى الجديدة

3/الاتجاهات النظرية الكلاسيكية للتحليل الطبقي

4/الاتجاهات النظرية المحدثة للتحليل الطبقي و توصيف الطبقة الوسطى الجديدة

1-تحولات المجتمع الرأسمالي ونشأة الطبقة الوسطى

من خلال هذا المدخل سنحاول إبراز أهم التغيرات و التحولات الأساسية التي شهدتها العالم- المجتمع الرأسمالي خاصة-و التي أفرزت طبقة وسطى جديدة، بل الأكثر من ذلك اتساع قاعدتها، ومد جذورها في المجتمعات الرأسمالية.

شهدت المجتمعات الرأسمالية خلال نصف القرن الأخير، وعاشت تغيرات أساسية، ذات طبيعة نوعية في جميع المجالات، ساهمت إلى حد كبير في تغيير أبنيتها الاقتصادية و الاجتماعية والطبقية.... فالأبنية التي ظهرت مع نشأة المجتمع الرأسمالي، و التي استمرت حتى النصف الأخير من القرن التاسع عشر□ و التي تعرف بالبناء الطبقي البورجوازي و البناء الطبقي العمالي □شهدت تغيرات□ تمثلت في نشأة جماعات اجتماعية وسياسية جديدة تعرف بما يسمى -بالطبقة الوسطى الجديدة -هذا استجابة لتحولات موضوعية* داخل سياق النظام الرأسمالي□ و احتلت موقعا استراتيجيا(من حيث الأداء و الأهداف □الدور و الفعالية)داخل البناء الطبقي .

إن نشأة المجتمع الرأسمالي كانت ملازمة لنشأة نظام اجتماعي ، اقتصادي، يتسم بطابع خاص وجديد ويميزه عن غيره من النظم الاجتماعية والاقتصادية التي سبقته -العبودية، الإقطاع....- ، وكان هذا النظام-الرأسمالية- محل جدل بين رواد النظرية السوسيولوجية المعاصرة ، فـ"دوركايم" يري فيه تنظيم اجتماعي يتسم بسيادة شكل جديد من أشكال التضامن هو "التضامن العضوي"*** في مقابل شكل آخر من أشكال التضامن هو "التضامن الآلي" الذي كان يميز المراحل التنظيمية السابقة. أما "ماكس فيبر" فيصور النظام جـالرأسمالي بأنه نظام يحقق قدر كبير من الترشيح في الإنتاج و السلوك (1)، ويرى بأن قيم الرأسمالية تتصف بخصائص الرشد و العقلانية . بينما يرى "ماركس" أن الذي يميز النظام الرأسمالي هو ظهور

*المقصود بالتحولات الموضوعية هنا، تلك التحولات البنائية التي تعرضت لها المجتمعات الرأسمالية من بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وترتب عليها تغير البناء الطبقي داخل المجتمعات من ناحية، ونشأة فئات اجتماعية جديدة، كانت الطبقة الوسطى الجديدة أهمها، من ناحية أخرى.
**التضامن العضوي هو التضامن القائم على تقسيم العمل و التخصص، فعندما يزداد تعقد المجتمع، ودرجة اللاتجانس فيه، يظهر التضامن العضوي (لمزيد من الاطلاع أنظر: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية و النقدية، د/احمد زايد، ص 88)

1: أنظر: أحمد زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية و النقدية، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1984.

نمط جديد من أنماط الإنتاج "نمط الإنتاج الرأسمالي"، الذي يتسم بخلق علاقات رأسمالية داخل الإنتاج، وما يترتب على ذلك من تقسيم اجتماعي اقتصادي بعينه للعمل، ونمو علاقة ذات طبيعة نوعية بين العمل ورأس المال.

وعلى الرغم من جوانب الاختلاف بين هؤلاء الرواد إلا أن هناك قاسم مشترك يجمع بينهم ، هو الاهتمام الكبير بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للنظام الرأسمالي، كل من زاوية تعكس تنوع الرؤى و اختلاف المنطلقات الإيديولوجية ، فمنهم من يحللها و يرجع نشأتها إلى الجوانب الاقتصادية مثل نمو الأسواق، والتجارة في الحاجات المادية، وتحريك رأس المال، ومنهم من يوصفها نتاجا لعوامل اجتماعية وسياسية ، هذه العوامل مجتمعة أدت إلى القضاء على المجتمع الإقطاعي، ليحل محله نظام (1) اجتماعي اقتصادي جديد، تقوده الرأسمالية، المرتكزة على الصناعة والتجارة ، والمتمركزة في المدن، والقائمة على ملكية وسائل الإنتاج ورأس المال، بدلا من ملكية الأرض والبشر، داخل النظام الإقطاعي .

وأفضت آليات التطور الرأسمالي المحكومة بهذه المعايير (ملكية- لا ملكية وسائل الإنتاج، التحكم- عدم التحكم في رأس المال، شراء-بيع قوة العمل) إلى تبلور بناء طبقي يتسم بطابع استقطابي، طبقة لا تنتج وتملك وسائل الإنتاج، وتتحكم في رأس المال، و تشتري قوة عمل الآخرين (الطبقة البرجوازية)، وطبقة تنتج ولا تملك وسائل الإنتاج، ولا تتحكم في رأس المال، و لا تشتري قوة عمل الآخرين بل تجد نفسها في موضع لا تملك فيه إلا أن تباع قوة عملها (وهي الطبقة العاملة)، ويتحدد وجود إحدى هاتين الطبقتين بناء على وجود الطبقة الأخرى في علاقة عدائية، تزداد تبلورا واستقطابا بمرور الوقت وإذ يقول **ماركس** "إن الذي يميز عصرنا الحاضر، عصر البرجوازية ، هو أنه جعل التناحر الطبقي أكثر بساطة: فإن المجتمع أخذ في الانقسام أكثر فأكثر إلى معسكرين فسيحين متعارضين، إلى طبقتين كبيرتين، العداء بينهما مباشر - هما البرجوازية والبروليتاريا" (2)

1-william g.roy:"class conflict and social change in historical perspective", annual review of sociology, vol 10,1984,p489.

2: ماركس و انجلز :البيان الشيوعي ،الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت،لبنان،د-ت،ص38.

إن التصور السابق-الماركسي- لتطور المجتمع الرأسمالي لم يصدق، أو أنه كان يناسب، إلى حد ما ، رأسمالية القرن التاسع عشر، فالبنية الطبقيّة أصبحت بحاجة إلى بعض التعديلات التي تناسب واقع المجتمع الرأسمالي الحالي. ذلك أن النموذج السابق يعكس:

أولاً: تصور لنموذج مجرد للطبقات. بمعنى أن هذا التصور يطرح نموذجاً للطبقات ثنائي القطب، في ضوء نمط إنتاج رأسمالي "خالص". هذا النمط هو مجرد موضوع - صوري-، ليس له وجود حقيقي في الواقع. فأساليب الإنتاج الرأسمالية، والإقطاعية والعبودية، لا وجود لها في الواقع، فالواقع يفصح عن وجود "تكوين اجتماعي محدد تاريخياً". وهذا التكوين ذاته هو وحدة مركبة، يسيطر فيها أسلوب معين للإنتاج على أساليب الإنتاج الأخرى التي يتألف منها هذا التكوين⁽¹⁾. وبهذه الصورة فإن التكوين الاجتماعي، يحتوي أبنية غير متجانسة، نظراً لتأثرها و احتوائها لأنماط الإنتاج السائدة في مختلف المراحل (قبل رأسمالية)، ضمن علاقات الإنتاج السائدة في مرحلة الرأسمالية، هذا اللاتجانس يحول دون وجود نموذج مجرد للطبقات .

ثانياً: إن هذا التصور-ثنائية القطب- لا يأخذ بوجود طبقات أو جماعات بينية، تقع بين الطبقتين الأساسيتين في المجتمع، أي الطبقة البرجوازية والطبقة العاملة، وإذا اعترف بها فإنه ينظر لها على أنها تمثل حاجزا بين الطبقتين الرئيسيتين في النظام الرأسمالي، وإنها تؤدي

1: نيكولاس بولانتزاس: السلطة السياسية و الطبقات الاجتماعية، ترجمة عادل غنيم، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1989، ص12.

2: السيد محمد الرماح: التحليل السوسيولوجي لبنية المجتمع المصري، دار المعرفة الجامعية، 1997، ص23.

* يرى كارل ماركس في الطبقة الوسطى حسب مأكده في بيان الحزب الشيوعي الذي اصدره كل من ماركس و انجلز بأنه في ظل النظام الرأسمالي كانت توجد طبقة وسطى تتوسط بين اثنين من من المعسكرات العدائية، وهما الطبقة البرجوازية و الطبقة العاملة، وان البرجوازية الصغيرة التي كانت تتكون من صغار المنتجين و الفنانين، وأصحاب الحرف اليدوية، قد اختفت تدريجياً من حيث وجودها كطبقة، ومن ثم كان الصراع أكثر وضوحاً من جانب العمال ضد الرأسمالية، وبالتالي فإن يوجد من طبقة وسطى فإنه سوف يلحق -بأي من هاتين الطبقتين (المزيد من الاطلاع أنظر:

Nicholas Abercrombie And John jury, Capital , Lab our And The Middle Classes ,George allan and unwin, London ,P.49.

الى طمس المعالم و الحدود بين الطبقات القائمة (2). وهذا سيؤدي الى انضمامهم في الأغلب الى صفوف الطبقة العاملة* .

ولكن طبيعة التصور الرأسمالي لم تصدق النظرة السابقة، فالتطورات التي شاهدها هذه المجتمعات، لم تتبع نفس المسارات التي توقعها ماركس باختفاء هذه الجماعات البيئية، واندماجها ضمن أحد الطبقتين الأساسيتين ، بل جعلت من البناء الطبقي نموذجا أكثر تعقيدا من النموذج السابق. إذ أفرز هذا التعقيد، ظهور فئات اجتماعية جديدة تمثل المتخصصين والإداريين أصحاب الرواتب، و الفنانين ،وأصحاب المستويات التعليمية التي تمتلك نوعا من السلطة... الخ، استطاعت أن تحقق وضعا اقتصاديا واجتماعيا وسيطا بين الطبقة البرجوازية والطبقة العاملة، هذه الفئة التي يطلق عليها أغلب الباحثين "الطبقة الوسطى الجديدة" فأعضاء هذه الطبقة يتسمون بخصائص تجمع بين الخصائص التي تميز الطبقة البرجوازية، وتلك التي تميز الطبقة العاملة. فهم، مثلهم مثل الطبقة العاملة، لا يملكون وسائل الإنتاج، كما أنهم يبيعون قوة عملهم إلى الطبقة البرجوازية. لكنهم يتمتعون بدرجة ما من درجات الاستقلال، في بيع قوة عملهم، كما أنهم يتحكمون في النواحي الإدارية والإشرافية، مثلهم، في ذلك مثل الطبقة البرجوازية، ويشتركون مع هذه الطبقة في انتزاع فائض القيمة من الطبقة العاملة. و لفهم هذه المكانة البيئية أكثر و في هذا الصدد يجدر طرح التساؤل حول معرفة التحولات الأساسية التي تعرضت لها المجتمعات الرأسمالية منذ النصف الثاني من القرن العشرين. و التي ساهمت في نشأة هذه الطبقة وساعدت على اتساع قاعدتها الاجتماعية والسياسية ،وزادت في نسبة الجماعات الاجتماعية التي تدخل في عدادها...؟

فالإجابة عن هذا السؤال تدخل في علاقة (طردية)مع ما حصل من تغير في الثورة العلمية و التكنولوجيا، وما ترتب عليها من تغيرات نوعية أدت إلى تغيرات نوعية أدت إلى تغيير طبيعة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، وأساليب وقوى الإنتاج، والعلاقة بين العمل ورأس المال، وطبيعة الملكية الخاصة(1). و عليه يجمع المحللين في تلك الفترة بأنه "هذا التطور الخطير

(1) فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مارس، 1990، ص8.
(2) ألفن توفلر: صدمة المستقبل-المتغيرات في عالم الغد، ترجمة محمد علي ناصف، مراجعة د/احمد كمال ابوالمجد، دار النهضة، القاهرة، مصر، 1974، ص12.

بتأثير الثورة العلمية والتكنولوجية أساسا، تلك الثورة التي كان تأثيرها أكبر وأعمق وأهم من الثورة الصناعية⁽²⁾.

فمن الملامح الواضحة للمجتمعات الرأسمالية خلال المائة سنة الماضية ازدياد تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، وتزايد التركيز في الاقتصاد هذا الأخير يتمثل في سيطرة الشركات الكبرى على الحياة الاقتصادية، والغالبية العظمى منها هي اتحادات عامة* وبهذا الخصوص يرى **داهر ندروف**، فيما يعرف بالموقف الإداري، أن ظهور اتحادات الشركات أدى إلى تفتت الطبقة الرأسمالية التي ظهرت في القرن 19، ذلك أن الملاك الرسميين للشركات العمالات -أي أصحاب الأسهم- لم يعد بمقدورهم أن يمارسوا أي تأثير ذا بال على شؤون الشركات، فقد انتقلت القوة، والسيطرة إلى المديرين، وطالما أن المديرين ليسوا رأسمالين -أي أنهم لا يملكون المؤسسات التي يديرونها- وإنما يبيعون قوة عملهم إلى الطبقة السالفة، فإنهم ليسوا من فئة بروليتاريا، فهم بالتأكيد ينتمون إلى جماعة بينية تتمثل في الطبقة الوسطى .

و ما يؤكد وجهة نظره السابقة أكثر "عندما يتحدث عما يسميه -إعادة تكوين الطبقة العليا- في القرن 19 كانت توجد طبقة رأسمالية مسيطرة ومترابطة، ولكن فصل الملكية عن الإدارة، إلى جانب نمو الشركات العملاقة، قد أديا إلى تفكك هذه الطبقة"⁽¹⁾.

هذه المرحلة -الثورة الثالثة - وما تميزت به من تطور لتكنولوجيا الإلكترونيات الدقيقة، ونمو تكنولوجيا المعلومات، أدت إلى قفزات نوعية في الإنتاج، سواء في فتح مجالات جديدة، أو توسع في السوق وزيادة الاستهلاك، مع تغير في علاقات الإنسان بالآلة وتوالد مشاكل جديدة في علاقة رأس المال بالعمل.⁽²⁾

* يقصد بالاتحادات العامة شركات تعتمد على تقويم الأسهم التي يمكن ان تباع وتشتري، ويمتلك أصحاب الأسهم هذه الشركات.

1: انتوني جيننز: **مقدمة نقدية في علم الاجتماع**: ترجمة احمد زايد- عدلي السمرلي، ط2، مركز البحوث و الدراسات العربية، 2006، ص73.

2: فؤاد مرسي، **الرأسمالية تجدد نفسها**، مرجع سابق، ص-ص 27-40

وتأسيساً على هذه التحولات شاع الحديث، منذ أوائل الخمسينات، عن نمط جديد للمجتمع في طور التشكل، اختلفت مسمياته وتوصيفاته، مثل "مجتمع ما بعد الصناعي"، لتمييزه عن نمط المجتمع الصناعي السابق. أو "المجتمع التكنوقراطي" بحسبان طبيعة القوة التي تتحكم فيه. أو "المجتمع المبرمج"، استناداً إلى طبيعة الأساليب الإنتاجية والتنظيمات الاقتصادية، وما يتضمن ذلك من جيل جديد يقود الصناعة، وتكنولوجيا للمعلومات، جديدة، يتم تبادلها.⁽¹⁾

وأما كانت التوصيفات المختلفة لهذه المرحلة- النمط الجديد من أنماط المجتمع-، الذي جاءت به الثورة العلمية و التكنولوجيا، فثمة نقطتان أساسيتان يتفق حولهما معظم علماء الاجتماع من مختلف الاتجاهات الإيديولوجية، الماركسية وغير الماركسية:⁽²⁾

1/: أن رأسمالية القرن التاسع عشر، التقليدية ذات الطابع الكلاسيكي قد اختفت أو على الأقل، تعرضت للتحويل.

2/ أن الثورة العلمية والتكنولوجية لهذه المرحلة لم تؤد إلى إنتاج سلع استهلاكية، ومنتجات ومعارف جديدة فقط، بل أدت كذلك إلى تحولات أساسية في الأساس التقني للإنتاج ذاته. وإن هذه التحولات التي طرأت على قوى الإنتاج قد أدت بدورها، إلى تحولات هائلة في الأبنية الاقتصادية والاجتماعية

و السؤال الذي يطرح نفسه في خضم هذا التحليل هو ما علاقة ذلك بنشأة الطبقة الوسطى الجديدة؟

1: بوتومور: علم الاجتماع والنقد الاجتماعي، ترجمة محمد الجوهري وآخرين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1981،

²: - Erick Olin Wright and Bill Martin, « The Transformation Of American class Structure, 1960-1980, American Journal Of Sociology, Vol.93, No.1, July, 1987,pp.1-2.

إن الإجابة على هذا السؤال ذات صلة وثيقة بالتحويلات و التغيرات المترتبة على الثورة العلمية والتكنولوجية ، خاصة التغيرات التي طرأت على قوى الإنتاج، وعلى أساسها التقني ، وعلى تقسيم العمل، وعلى التنظيم الاقتصادي ذاته ،هذه التغيرات أفرزت فئات اجتماعية، تحتل موقعا وسطا بين البرجوازية والطبقة العاملة وتجمع بين خصائص مشتركة في كلا الطبقتين ، تقوم بالوظائف و المهام التي اقتضاها التقسيم الجديد وهذه المتغيرات الجديدة.

هذه التحويلات الجديدة، أدت إلى خفض الطلب على معدل العمالة اليدوية وزيادة الحاجة إلى نوعية بعينها من العمالة الماهرة. كما أن النمو الذي طرأ على حجم المشروعات كان يعني زيادة الطلب على وظائف بعينها خاصة الوظائف الإدارية والإشرافية ، إضافة إلى احتياجات المشروع إلى تسويق وتوزيع الإنتاج واسع النطاق، وبالتالي زيادة عدد الأفراد المنخرطين في أعمال البيع، والنقل، والاتصال، وفي القطاع المالي اللازم للتجارة والتمويل وأعمال البنوك. وترتب على كل ذلك تغير البناء المهني ،داخل المجتمعات الرأسمالية لصالح النمو الهائل في معدل الموظفين والعمال ذوي الياقات البيضاء ، الذين يشكلون العمود الفقري للطبقة الوسطى الجديدة، في مقابل التناقص في معدل العمالية اليدوية التي تناقص معدلها وتغير تركيبها بشكل ملحوظ. (1)

هذا التغير التقني الذي شمل كما سبق تقنيات الإنتاج، هذه التقنيات تتطلب عمالة ماهرة ومؤهلة ولا تملك قوة العمل اليدوي فقط، ولا تحتاج، إلى عمالة كثيفة، بسبب الاستخدام المتزايد لبرامج التحكم الآلي. إضافة الى بروز قطاعات جديدة للعمل تتمثل في قطاع الخدمات و اتساعه لتحتوي نسبة كبيرة من العاملين له.

1: فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها،مرجع سابق،ص90.

:2 Anthony Giddens: *The Class Structures Of The Advanced Societies*, Hutchinson, London, 1973,

هذه التحولات في جملتها ساعدت (أو كانت عاملاً أساسياً) على اتساع الطبقة الوسطى والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية (2)

1- تعقد البناء الإداري للعمل، ونمو الصناعات ذات الطبيعة التقنية والعلمية التي تتطلب إعداداً هائلاً من العمالة التقنية.

2- التعقد التقني للإنتاج، وفصل الملكية عن الإدارة داخل المشروع الرأسمالي الكبير، ظهور الوظائف الإدارية والإشرافية بشكل متزايد.

3- تنامي التخطيط والتنظيم داخل الصناعة، وما ترتب على ذلك من نمو وظائف الإشراف والمتابعة ودعمها.

4- الزيادة الهائلة في إنتاج السلع الاستهلاكية، ونمو الأسواق اللازمة لتوزيع هذه السلع، مما أدى إلى ازدياد العمالة داخل قطاع التسويق والتوزيع والتجارة، والدعاية والإعلان.

5- النمو الهائل الذي طرأ على القطاع الثالث - وهو ما يعرف بالاقتصاد الخدمي، وما ترتب على اتساع العمالة وما تستقطبه من يد عاملة تشكل الطبقة الوسطى .

6- اتساع دور الدولة وزيادة مسؤولياتها، ونمو الأجهزة التابعة لها، وما ترتب على ذلك من زيادة الوظائف لتتحكم في معطيات الواقع الجديد.

7- مكانة العلم والمعرفة العلمية والنظرية، و الدور المهم الذي احتلته داخل سياق الثورة التكنولوجية الأمر الذي أدى إلى نشأة مجموعة من الوظائف العاملون بها يجب أن يكونوا حاصلين على مؤهلات علمية بعينها، وبالتالي أصبح التعليم وسيلة أساسية للوصول إلى هذه الوظائف. ومع ازدياد معدلات التعليم العالي ونمو روح التخصص ، برز دور العلماء و التقنيين والتكنوقراط، وظهرت "طبقة جديدة" من العلماء و المفكرين والأنتلجنسيا والتكنوقراط "حملة المعرفة" أو أصحاب "رأس المال الثقافي" وهم يشكلون الشرائح العليا في الطبقة الوسطى الجديدة.

هذه العوامل شكلت فئات اجتماعية واسعة تدخل ضمن ما يسمى بالطبقة الوسطى
جديدة

إضافة إلى ما سبق نجد أن التحولات السابقة الذكر خلقت أشكال جديدة من التمايز
الطبقي لا تستند على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج . فالانتقال إلى مجتمع الموظفين
والإداريين والتكنوقراط قد جعل من المهنة والتعليم أساسا يعتد به للتمايز الطبقي. كما أن
فصل الملكية عن الإدارة داخل الأبنية الاقتصادية أدى إلى تراجع الدور الذي كانت تلعبه
الملكية كأساس وحيد في بناء اللامساواة، وأدى إلى ظهور ميكانيزمات جديدة من التحكم داخل
الأبنية الاقتصادية، مثل المهارات التقنية والإدارية و المؤهلات التعليمية¹.

إضافة إلى ذلك أن نمو دور الدولة واتساع أجهزتها، قدم أنماطا بديلة للملكية و الحيازة التي
يملكها أو يحوزها الفرد داخل نظام الإنتاج ،وأصبح الانخراط داخل أجهزة الدولة وخصوصا
(الجيش، الشرطة، الشركات التي تخضع لملكية الدولة)، مصدرا أساسيا من مصادر تحقيق
التراكم الاقتصادي والتمايز الطبقي.

كما أن معيار التعليم و المعرفة و المعلومات، أصبح معيارا أساسيا للتمايز الطبقي يكاد
يساوي معيار ملكية رأس المال. وبذلك أصبح مصدر القوة الجديد الذي تتمتع به الطبقة
الجديدة والذي يعبر عنه البعض ،بالتحكم الفردي في ثقافات، ولغات وتقنيات بعينها، وكذا
التحكم في المهارات الناتجة عن ذلك بشكل تحولت فيه هذه الطبقة الجديدة إلى برجوازية
ثقافية. (1)

وخلاصة ما يمكن قوله،في هذا الموضوع أن التحولات السالفة الذكر في مجملها ساهمت في
بلورة وتشكل جماعات وفئات اجتماعية واسعة، تحتل موقعا ("متوسطا " أو وسطا") بين
الطبقتين الأساسيتين الموجودتين داخل المجتمع الرأسمالي. هذا ما أدى إلي تعقد البناء الطبقي

1- فؤاد مرسي:مرجع سابق،ص90

¹ -a.w.gouldner :the future of intellectuals and the rise of the new middle class,theseabury
press.new,1979,p19.

لهذا المجتمع من ناحية، وصعوبة تطبيق النموذج الطبقي الثنائي، في فهمه وتحليله للبناء الطبقي. و لمزيد من الفهم لنشوء هذه الطبقة ودورها الفعال في تناول البناء الطبقي سنستعرض في النقطة التالية بشيء من التفصيل للاتجاهات النظرية التي فسرت نشأت الطبقة الوسطى.

1/ اتجاهات تفسير نشأة الطبقة الوسطى الجديدة:

توصلنا في المبحث السابق، إلى حقيقة أساسية مفادها: أن التحولات التي تعرضت لها المجتمعات الرأسمالية بموجب الثورة العلمية والتكنولوجية أفرزت مجموعة من العوامل الأساسية شكلت وسيطا فاعلا في نشأة الجماعات الاجتماعية التي تشكل قوام الطبقة الوسطى الجديدة. وثمة اتفاق عام بين مختلف الاتجاهات النظرية والأيدولوجية حول نشأة هذه الجماعات التي باتت تحتل موقعا وسيطا بين الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة، هذه الفئات "الجماعات" قد اتسعت قاعدتها بصورة كبيرة، من خلال الانضمام المستمر إليها من طرف أعضاء جدد، الأمر الذي جعل العديد من الباحثين و الدارسين ينظرون إليها بوصفها طبقة مستقلة بذاتها عن سابقتها، وتختلف عنهما في بنائها و خصائصها.

إن ظهور هذه الفئات أدى إلى تعقد البناء الطبقي داخل المجتمع الرأسمالي، ومنه صعوبة تحليل بنية الطبقة بناء على نموذج التحليل الطبقي الثنائي الأمر الذي أوجب، ضرورة

البحث عن أطر تصورية ونماذج تحليلية تتلاءم مع طبيعة التطورات الجديدة، خاصة نشأة الطبقة الوسطى واحتلالها مكانا داخل البناء الطبقي للمجتمع.

هذا الاتفاق يحمل في طياته تباينا فيما يتصل بتفسير نشأة الطبقة الوسطى الجديدة. ويمكننا أن نميز، داخل اتجاهات التفسير هذه، بين اتجاهين أساسيين في تفسير نشأة هذه الطبقة هما:

1-2: اتجاه التفسير التكنولوجي

2-2: اتجاه التفسير البنائي

1-2: اتجاه التفسير التكنولوجي: ينطلق هذا الاتجاه من فرضية أساسية، مفادها أن مستوى التطور الصناعي أو التكنولوجي هو الذي يحدد، الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع. وعليه فإن العلاقات الطباقية تتأسس بناء على أشكال التكنولوجيا وأشكال التصنيع أو التقسيم التقني للعمل.

فهذا الاتجاه ينظر إلى التطور التكنولوجي بوصفه أساس التغير الطبقي. وعليه فإن نشأة الطبقة الوسطى الجديدة تعود إلى التغيرات التكنولوجية المرتبطة بعملية التصنيع المتقدم، والتي ترتب عليها ازدياد الطلب على نوعية بعينها من العمالة (الماهرة وشبه الماهرة) عوضا عن العمالة اليدوية التقليدية.

ومن أبرز المهتمين بهذه النظرة نجد رايت ميلز **C. Wright Mills** الذي يرى بأن نشأة الطبقة الوسطى الجديدة، تعد نتيجة للثورة العلمية والتكنولوجية وما ترتب على ذلك من الحاجة إلى المهارات المهنية المتخصصة، وظهور طبقة من أصحاب الرواتب (الطبقة الوسطى الجديدة) من المتخصصين والمديرين والموظفين، كنتيجة أساسية للثورة التكنولوجية وإدخال العلم بشكل واسع في كل مجالات الحياة الاقتصادية. (1)

ويندرج هذا الرأي مع منظري "المجتمع ما بعد الصناعي"، الذين يرون أن التكنولوجيا هي السبب الأساسي في التحول المهني الذي حدث في النصف الثاني من القرن العشرين، وما

1-c.wright mills: **power politics and people**, oxford univ,press,1963,p307.

2-geoff payne: **mobility and change in modern society**, Macmillan press ltd ,London ,1987,p xi.

*كان ماركس على وعي بتزاوج الطبقة الوسطى ومع ذلك لم يهتم بها اهتماما كافيا، إذ كان ينظر إليها على أنها تمثل حاجزا بين الطبقتين الرئيسيتين في النظام الرأسمالي، وكان يتنبؤ بأن ما يوجد من طبقة وسطى سوف يلحق باي من هاتين الطبقتين (لمزيد من الاطلاع انظر السيد محمد الراحل التحليل السوسيولوجي لبنية المجتمع المصري، ص-ص 22- 23)

ترتب عليه من اتساع جماعات الطبقة الوسطى الجديدة، التي نتجت من قلب هذا التحول وكانت مؤثرة لدرجة أنها أصبحت مبررا كافيا لمراجعة نظرية الطبقة التقليدية⁽²⁾ فالتغيرات التكنولوجية الهائلة تؤدي إلى تغير المضمون المهاري للعمل، وتغير بنية السلطة داخل مكان العمل تغيرا جذريا، كما تؤدي إلى خلق صناعات جديدة، ومنتجات جديدة، ومهن جديدة، كلها تدعم جماعات الطبقة الجديدة، التي ظهرت، بشكل متسارع، وتنامي دخول العمال المهرة و التقنيين والعمال ذوي الياقة البيضاء، و عليه فإن مجتمع ما بعد الصناعة، قد أدى إلى نشوء طبقة جديدة تعتمد على أصحاب المهن والمتخصصين، وعلى التعليم العالي، وعلى قطاع الدولة. وعلى الرغم من أن هذه الجماعات كانت موجودة داخل المجتمع الصناعي، إلا أنها استطاعت، في المجتمع ما بعد الصناعي، ونتيجة لتزايد أعدادها، إن تتطور إيديولوجيا و تزداد وعيا بحيث تصبح طبقة مستقلة لذاتها وليس حاجزا بين الطبقات -كما كان يعتقد ماركس* أما "دانيال بيل D.Bell"، وهو أحد أشهر منظري المجتمع ما بعد الصناعي، فيرى أن أهم التغيرات التي حدثت داخل هذا المجتمع (ما بعد الصناعي) والتي كان لها تأثيرها الفاعل في نشأة الطبقة الوسطى الجديدة، هذه التغيرات قد ظهرت عبر الأبعاد التالية: -⁽¹⁾

1- **القطاع الاقتصادي:** الانتقال من الاقتصاد القائم على إنتاج السلع إلى الاقتصاد الخدماتي.

2- **التوزيع المهني:** اتساع و بروز دور الطبقة التقنية المتخصصة.

3- **محور الارتكاز:** مركزية المعرفة النظرية بوصفها مصدرا أساسيا للابتكار و لصياغة السياسة الخاصة بالمجتمع.

4- **التوجه نحو المستقبل:** التحكم في التكنولوجيا و المخترعات التكنولوجية.

5- **اتخاذ القرار:** خلق تكنولوجيا فكرية جيدة.

- R.Dahrendorf : « **observations On science And Technology In Changing Socio-Economic Climate-** -1
« In : R.Dahrendorf Et.AL.,Scientific-Technological Revolution :Social Aspects, Sage publications
Ltd,London,1977,Pp.74-75

2-A.Giddens: **Class Structure Of The Advanced Societies**,Op.Cit.,P.257.

ويرى بيل أن "الجامعة" قد أصبحت أهم المؤسسات، داخل المجتمع ما بعد الصناعي ، حيث يتم تشكيل وتطور المعرفة النظرية داخلها. فإذا كان المصنع هو أساس المجتمع الصناعي، بوصفه المصدر الأساسي لإنتاج السلع، فإن الجامعة، بوصفها مصدرا أساسيا لإنتاج المعرفة النظرية، هي الملمح الأساسي داخل المجتمع ما بعد الصناعي (2).

هذه الأخيرة ساهمت في توارى الأهمية النسبية للعامل اليدوي التقليدي الذي كان يعتمد على تكنولوجيا بسيطة، ليحل محله العامل الماهر صاحب المعرفة ، والعامل المتعلم الذي يعتمد على تكنولوجيا متطورة.

فالتطور التكنولوجي الحاصل داخل المجتمع ما بعد الصناعي، ترتب عليه إدخال أساليب وتقنيات جديدة إلى تكنولوجيا الإنتاج- "الأتمتة" Automatisation - التي أدت بدورها إلى إعادة بناء المهارات والمؤهلات والإمكانيات الخاصة بعملية العمل. وأصبح المصدر الأساسي والحقيقي في التحكم والعامل الحاسم في الإنتاج.

ويتفق أصحاب هذا الاتجاه على أن دخول التكنولوجيا المتقدمة وكذا استخدام أساليب متقدمة في الإنتاج قد أفضى إلى تغيير عملية العمل. وتغير طبيعة التركيب المهني داخل المجتمع ، إذ أصبح التنظيم الصناعي الذي ارتبط بالثورة التكنولوجية يتسم بسمات أساسية أهمها: (1)

1- التأكيد على الفصل بين العمل اليدوي والعمل الفكري، وبين مهام إعداد وبرمجة وإدارة العمل من ناحية وبين التنفيذ الفعلي لهذا العمل من ناحية أخرى.

2- تقسيم دورة العمل إلى مهام بسيطة وأكثر تجزئة

3- الالتزام بالنمط الهرملي داخل التنظيم.

هذه السمات من أهم الأسباب التي أدت إلى نشأة الطبقة الوسطى الجديدة لدى أنصار هذا الاتجاه. فالتقسيم بين العمل اليدوي والعمل الفكري داخل التنظيم الصناعي المتقدم، كان في صالح تزايد نوعية بعينها من قوة العمل المؤهلة، التي تستطيع التعامل مع التقنيات المتقدمة

-angelo pichierr: "diffusion and crisis of scientific management in Europe industry», in Salvador I ginner and Margaret scot ford archer (eds) contemporary Europe ,social structure and cultural patterns ,Rutledge and kurgan paul,London,1978,p58.

للإنتاج. وتراجع الوزن النسبي للعمال اليدويين. هذا ما أدى إلى نشأة جماعات جديدة من المديرين والمشرفين داخل التنظيم الصناعي. وأعطى فرصة إلى بروز دور العلماء والتقنيين داخل هذا التنظيم.

ولا شك أن هذه الجماعات تشكل مكونا أساسيا من مكونات الطبقة الوسطى الجديدة التي أصبحت طبقة أساسية داخل المجتمع ما بعد الصناعي، كما أصحاب هذا الاتجاه إلى نمو التنظيمات ذات الطابع الهيراركي، التي ترتبت على الثورة التكنولوجية، والتي سادت كل جوانب الحياة داخل المجتمع ما بعد الصناعي، بوصفها سببا أساسيا من أسباب اتساع قاعدة الطبقة الوسطى الجديدة داخل هذا المجتمع، فقد ساهمت الثورة التكنولوجية في شيوع التنظيمات ذات الطابع البيروقراطي مما استدعي تزايد الحاجة إلى توظيف "الخبراء" ذوي الياقات البيضاء، من الإداريين والمديرين، والتكنوقراط والمنظمين، كما زادت الحاجة إلى الوظائف الروتينية المساعدة.

وبما أن التنظيم البيروقراطي يعتمد على فصل الملكية عن الإدارة داخل التنظيمات الرأسمالية فقد أدى ذلك إلى ظهور صفوة من الإداريين والتقنيين والمتخصصين داخل هذه التنظيمات، لعبت دورا وسيطا بين العمل ورأس المال، واحتلت وضعا طبقيًا بينيا، بين العمال وأصحاب رؤؤس الأموال أو مالكي وسائل الإنتاج، وإزاء الاتساع المطرد في حجم التنظيمات الصناعية، واتساع نطاقها - سواء داخل الدولة أو على نطاق عالمي-، فقد ازدادت الحاجة إلى الوظائف التجارية والتسويقية والتوزيعية، كما ازدادت الحاجة إلى خدمات التأمين والخدمات المالية.... الخ

وعليه فقد أصبحت الطبقة الوسطى الجديدة -لدى أنصار هذا الاتجاه- من أهم معالم البناء الطبقي في مجتمع اليوم، وأن نشأة هذه الطبقة ترجع إلى التغيرات التي ترتبت على الثورة العلمية و التكنولوجية، وما ترتب عليها من تغيرات طرأت على التنظيم الإنتاجي من ناحية أخرى .

انطلاقاً من التحليل السابق وجهت عدت انتقادات إلى هذا الاتجاه نظراً لتبنيه الحتمية التكنولوجية، وتجاهله لمختلف الأبعاد الأخرى، وعليه فقد ظهر اتجاه آخر في تفسير نشأت الطبقة الوسطى والذي سنوضحه في السطور الآتية.

2-2: إتجاه التفسير البنائي

يرجع أصحاب هذا الاتجاه التغيرات الحاصلة في البناء الاجتماعي و الطبقي، نتاجاً أو محصلة للتغيرات التي طرأت على بنية و علاقات الإنتاج الرأسمالي، وإذ كانوا يتفقون مع الاتجاه السابق في الدور الذي لعبته الثورة العلمية و التكنولوجية ومع ما خلقتة من تغيرات في مجتمع الرأسمالي. إلا أن هذه التغيرات حسب هذا الاتجاه، أدت الى تغيير البناء المهني داخل المجتمع، فهم إذا لا ينظرون الى هذا العامل -الثورة التكنولوجية- باعتباره العامل المهيمن في تحديد الأساس الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع، بل أن هذه التغيرات ذاتها كانت وليدة عوامل بنائية أعمق، تفهم في تحليل بنية وعلاقات الإنتاج داخل النظام الرأسمالي.

إن أنصار هذا الاتجاه عند تفسيرهم لنشأة الطبقة الوسطى الجديدة ينطلقون من التنظيم الاجتماعي للعلاقات الإنتاجية وليس التنظيم التقني للعلاقات الاقتصادية، فإريك رايت يرى أن العلاقات الاجتماعية التي تحدد الطبقة، يجب تحليلها انطلاقاً من التنظيم الاجتماعي للعلاقات الاجتماعية، وليس التنظيم التقني للعلاقات الاقتصادية، فالعلاقات الطبقيّة لا تتأسس، بناءً على أشكال التكنولوجية أو مستوى التصنيع، أو التقسيم التقني للعمل⁽¹⁾.

فالإتجاه البنائي إذا يهتم في تحليله للطبقات الاجتماعية على أساس التقسيمات داخل العلاقات الاجتماعية للإنتاج و تقسيم العمل الاجتماعي، كما يفسر نشأة هذه الطبقة بناءً على التغيرات البنائية التي ترتبت على التناقضات الكامنة في المجتمع الرأسمالي، و الميكانيزمات التكيفية التي ظهرت استجابة لهذه التناقضات، و في ظل عمليات الصراع الطبقي الحاصل في المجتمع الرأسمالي ذاته⁽²⁾.

¹ - E.O.Wright: « Varieties Of Marxist Conceptions Of Class Structure »,P.325.

² - Val Burris: Capital Accumulation And The Rise Of The New Middle Class,review of radical political economics,vol21,no 1,spring,1980,P17.

فأصحاب هذا الاتجاه ينظرون إلى نشأة الطبقة الوسطى الجديدة، بوصفها عملية اجتماعية وليس نتيجة للتطور التكنولوجي، فالتكنولوجيا لا يمكن فهمها بوصفها عاملا سببيا مستقلا، بل يجب أن توضع داخل السياق الأوسع للقوى الاجتماعية التي تتبع منها، ولفهم نشأة هذه الطبقة-الوسطى-يجب تحليلها باعتبارها ناتجة من داخل بناء بعينه للعلاقات الاجتماعية لا بوصفها شيء يحدث من الخارج، فهي تعبر عن التطورات الداخلية الحادثة في هذا البناء، إضافة إلى ذلك فإن عملية التراكم الرأسمالي، تعد احد أهم الديناميات التي أدت إلى نشأة الطبقة الوسطى الجديدة .

و تعد تفسيرات هاري برافمان من ألمع التفسيرات داخل هذا الاتجاه، وهو يرى أن الطبقات الاجتماعية ليست وحدات إمبريقية ثابتة، لكنها تعبر عن علاقات اجتماعية متغيرة تاريخيا بشكل مستمر. ومن هنا حاول أن يقدم تفسيراً لنشأة الطبقة الوسطى الجديدة من داخل بنية النظام الرأسمالي في مرحلته الاحتكارية. تفسيراً يربط العلاقات المتداخلة بين تراكم رأس المال- كما ظهر داخل الرأسمالية الاحتكارية - وعملية العمل من ناحية، ونشأة الطبقة الوسطى الجديدة من ناحية أخرى.

برافمان يرى أن تطور الرأسمالية الاحتكارية، صاحبه تغيير جذري في البناء الطبقي وفي العلاقات الطبقيّة المتشكلة. وترتب على ذلك نشأة طبقة وسطى جديدة، تختلف عن الطبقة الوسطى القديمة التي كانت موجودة في مرحلة ما قبل الرأسمالية الاحتكارية، تلك المرحلة التي اتسمت بوجود بناء طبقي ذي طابع استقطابي ينهض على وجود طبقتين أساسيتين (الطبقة البرجوازية والطبقة العاملة)، وبموجب هذا الوضع كانت "الطبقة الوسطى القديمة تحتل ذلك الوضع البيني، بمقتضى وجودها خارج مركز البناء الطبقي، فهي لا تملك خصائص الطبقة الرأسمالية، ولا تلعب دورا مباشرا في عملية تراكم رأس المال، أما الطبقة الوسطى

الجديدة فهي على العكس، تحتل وضعها البيئي لا بسبب كونها خارج عملية تراكم رأس المال ، بل لكونها جزءا من هذه العملية، تأخذ ملامحها من كلا الطبقتين.⁽¹⁾

إذا تعد نشأة الطبقة الوسطى الجديدة لدى برافرمان حقيقة ملازمة لتطور المجتمع الرأسمالي، الذي كان يسعى إلى تحقيق التراكم من خلال تحول عدد هائل من الأفراد إلى العمل المأجور الذي ينظمه رأس المال من أجل إنتاج فائض القيمة وتحقيقها في شكل أرباح. ومن هنا ظهرت الحاجة إلى تركيز وسائل الإنتاج والتحكم، ونزع الملكية الإنتاجية للمنتجين الصغار والبرجوازية الصغيرة التقليدية -الوسطى القديمة-، وأدى تطبيق أساليب التحكم الذاتي والأتمتة في الإنتاج، إلى تدهور مهارات العمل ، وانقسمت هذه المهارات إلى مهارات عقلية (المهام الإدارية والإشرافية والهندسية) ومهارات عضلية أو يدوية ، وتم التحكم في كل الجوانب عملية العمل بطريقة تكنولوجية، مما سلب العامل مكنة اتخاذ القرار وحرمه من أية فرصة إبداعية.⁽²⁾

مما سبق نجد أن الطبقة الوسطى الجديدة هي المستفيد الأول من عملية تدهور المهارة هذه ففقدان العمال و أصحاب الحرف لهذه المهارات ،بنقلها إلى جماعة اجتماعية تتوفر فيها المؤهلات و الموصفات وهي أكثر صلة بالطبقة الرأسمالية تعرف بالطبقة الوسطى الجديدة . و في نفس السياق نجد كارشيدى G.Carched يرى بأن الطبقة الوسطى الجديدة قد ظهرت في مرحلة الرأسمالية الاحتكارية ، كي تقوم بأداة الوظيفة الكلية أو الشاملة لرأس المال ، هذا على الرغم من أنها لا تملك رأس المال، كما لا تملك وسائل الإنتاج ولا تقوم بأداء وظيفة العمل المنتج.⁽³⁾

¹ : Hary Braverman: **Labor And Monopoly Capital**, The Degradation Of Work In The Twentieth Century, Monthly Revier Press, London, 1974,P.407.

²-william g.roy:"class conflict and social change in historical perspective",op.cit,p492

³- G.Carched : "on The Economic Identification Of The New Middle Class", Economy And Society ,Vol.4,No.1,Feb.1975,P.1.

أما نيكولاس بولانتزاس Nicos Poulantzas - فيطلق على هذه الطبقة اسم "البرجوازية الصغيرة الجديدة" ، ويرى بأنها تتجه إلى الاتساع في ظل الرأسمالية الاحتكارية، لكي تضم كل العاملين الأجراء غير المنتجين، وتزداد اتساعا باتساع العمل المأجور وتدهور المنتجين المستقلين، وازدياد الأنشطة التي تتعامل مع تسويق البضائع وتداول السلع، وازدياد معدل الموظفين المدنيين الذين توظفهم الدولة في أجهزتها المختلفة. (1)

وإذا كان بعض أنصار هذا الاتجاه يرجعون نشأة الطبقة الوسطى إلى عملية التراكم الرأسمالي، وما ترتب عليها من إفرازات - كما سلف الذكر - فإن البعض الآخر، من أنصار هذا الاتجاه أيضا، يرون أن هذه الطبقة قد نشأت نتيجة سعي الرأسمالية الاحتكارية إلى إلغاء التناقض الأساسي بين العمل ورأس المال، بخلق جماعة وسطية تقف بين الطبقتين.

وبما أن الملمح الأساسي للرأسمالية الاحتكارية يتمثل في التنظيم البيروقراطي الهيراركي، الذي يتوسط العلاقة بين العمل ورأس المال، ويزيد من مستوى الإشراف و يلغى الانقسامات بين العمل ورأس المال، ويفوض سلطة التحكم في العمل التقني إلى الهيراركية التنظيم، فإن الرأسمالية الاحتكارية تقدم أساسا متينا لتشكيل الطبقة الوسطى الجديدة. (2)

وعليه فأنصار هذا الاتجاه يرجعون نشأة الطبقة الوسطى الجديدة، إلى الديناميات الداخلية للرأسمالية (الاحتكارية)، ولعملية التراكم الرأسمالي، ما ترتب على ذلك من بروز جماعات من العمل ذوى الياقات البيضاء-الطبقة الوسطى الجديدة - يختلفون في خصائصهم وفي أوضاعهم الطبقيّة عن الطبقة الوسطى القديمة، وعن طبقة الرأسمالية (حيث لا يملكون وسائل الإنتاج ويبيعون قوت عملهم إلى هذه الطبقة)، وعلى الرغم من أن هذه الخصائص (عدم ملكية الوسائل الإنتاج وبيع قوة العمل) تمثل قاسما مشتركا بين الطبقة الوسطى الجديدة والطبقة العاملة، فإنها تختلف عن هذه الأخيرة في أنها تتمتع بدرجة ما من درجات الاستقلال في الاستخدام المباشر لقوة عملها، كما أنها تقوم بالإشراف على عمل الطبقة العاملة وتشارك

¹ - Nicos Poulantzas: *The New Petty Bourgeoisie In Richard Hyman And Robert Price (Eds), The new Working Class, Op.Cit,P.113.*

² -malcom waters :"*collopse and convergence in class theory* ",the return of social in the analysis of stratification arrangement, theory and society ,vol 20, n2 april,1991,p159.

(مع الطبقة الرأسمالية) في استغلال عمل هذه الطبقة.
إذا-الطبقة الوسطى- تضم صفات تخص البرجوازية و صفات تخص الطبقة العاملة،
وبموجب ذلك فإنها تحتل وضعاً بينياً، داخل البناء الطبقي الرأسمالي. وهذا لا يتحقق إلا
بموجب وجودها في قلب العلاقات الاجتماعية، وما يطرأ عليها من تحولات.
لقد كان ظهور هذه الطبقة واتساع نطاقها، بشكل مطرد، مبرراً كافياً، لدى المهتمين
بالتحليل الطبقي، لمراجعة النظريات الكلاسيكية في التحليل الطبقي، بشقيها الوظيفي
و الماركسي، مراجعة تأخذ في اعتبارها الوضع الطبقي لهذه الطبقة الجديدة. وهذا ما
سنوضحه بالتفصيل في سياق المباحث التالية.

3 / اتجاهات التحليل الطبقي: التصور الكلاسيكي

سنحاول من خلال هذا المبحث المتضمن عرض الاتجاه الكلاسيكي في تفسير و تحليل البناء
الطبقي، لا من الناحية تاريخ الإسهام النظري (ماركسي-وظيفي)، وإنما من خلال التركيز على
أهم التصورات التي قدمتها هاتان النظريتان في فهم قضية الطبقة و الانتماء الطبقي.
عند محاولة عرض الإسهام النظري لهذين الاتجاهين، يذهب الكثير من الباحثين إلى إعتبار
أن إسهام إحداهما قد جاء رد فعل لإسهام الأخرى، بمعنى أن الإسهام الذي قدمته النظرية

الوظيفية، داخل النظرية السوسيولوجية بشكل عام، وفي التحليل الطبقي بشكل خاص، قد جاء كرد فعل للنظرية الماركسية.

ويصدق هذا الحكم على إسهامات **ماكس فيبر** و**تالكوت بارسونز**، فعلم الاجتماع الفيبري يمثل امتداداً للحوار مع "شبح كارل ماركس"، كما أن نظرية **تالكوت بارسونز** تعد استجابة أمريكية للنظرية الماركسية⁽¹⁾.

وأكيد أن الطرح الوظيفي الكلاسيكي لقضية الطبقة و الانتماء يختلف عن الطرح الماركسي لهذه القضية، وذلك الاختلاف الذي إلى طبيعة النظر إلى المجتمع - لكل النظرية - وتفسير أشكال اللامساواة داخل البناء الاجتماعي لهذا المجتمع، هذا ما سنوضحه في العناصر التالية بتحليل كل إتجاه على حدة وتوضيح رؤيته السوسيولوجية للبناء الطبقي.

3-1/ الاتجاه الوظيفي الكلاسيكي في التحليل الطبقي:

يرتكز التصور الوظيفي لقضية الطبقة والانتماء على فرضية أساسية هي "أنه ليس ثمة مجتمع بلا طبقات، فلا يمكن أن يستمر مجتمع ما في وجوده بدون تدرج طبقي يقوم على عدم المساواة في توزيع المكافآت والامتيازات"⁽²⁾

فالتحليل السوسيولوجي لهذا الاتجاه في تناوله لقضايا الطبقة و التمايز الطبقي ينطلق إذا من مقولة أساسية مفادها "أن الطبقة الاجتماعية عبارة عن جماعة من الناس تشكل أحد المكونات الأساسية للبناء الاجتماعي"⁽³⁾

فأنصار هذا الاتجاه يرون أن المساواة الاجتماعية والاقتصادية أو السياسية أمر غير واقعي وغير محتمل، وبعكس ذلك فإن اللامساواة حقيقة مقررة، وضرورة وظيفية، حتمية و دائمة فهي بمثابة قانون عام يحكم الطبيعة و المجتمع "فكل جماعة اجتماعية هي في واقع الأمر - وبالضرورة - نسق اجتماعي متدرج، وانقسام المجتمع إلى طبقات، وجماعات متميزة مرتبة

¹-احمد عبد الله زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية و النقدية، مرجع سابق، ص93.

²-غريب سيد احمد: الطبقات الاجتماعية، مرجع سابق، ص126.

³-محمد ي. الجوهري: علم الاجتماع و قضايا التنمية في العالم الثالث، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص217.

في تدرج معين للثروة و الهيبة والمكانة والقوة ظاهرة مجتمعية عامة لا تخلو منها المجتمعات المتقدمة أو المتخلفة ،و لا يستثنى من ذلك أيضا أي من المجتمعات التاريخية المعاصرة"⁽¹⁾ وإذا كان **ماركس** يعتبر المنطلق الأساسي في تحديد مفهوم الطبقة و التدرج الطبقي في الاتجاه الماركسي ،فإن **ماكس فيبر** يعد بحق الرافد الثاني لدراسات التدرج الطبقي ،فهو يرى أن الطبقة الاجتماعية يمكن تحديدها انطلاقا من الوضعيات الاجتماعية على اعتبار أنها "مجموعة من الأفراد لهم نفس وضع الطبقة"⁽²⁾، ويعد مفهوم "وضع الطبقة" أساس التحليل الفيبري حيث أنه يشير إلى قاعدة ممكنة من السلوك المشترك⁽³⁾.

و في هذا الصدد يميز **فيبر** بين ثلاثة أصناف من التدرج، الاقتصادي و الاجتماعي، والتدرج السياسي ،فالطبقة يحددها التدرج الاقتصادي و المركز الاعتباري، يحدده التدرج الاجتماعي والحزب يحدده التدرج السياسي ،وتوجد علاقات بين الأصناف الثلاثة من التدرج لكنها ليست حتمية .⁽⁴⁾

لذلك نجد اهتمام **فيبر** بفكرة القيم بدون إغفال دور العامل الاقتصادي في تناوله لمحددات الوضع الطبقي في المجتمعات الحديثة و عليه فالتدرج الاجتماعية عند **ماكس فيبر** يقوم على الطبقة و المكانة ،فالطبقة أشرنا إليها أعلاه، أما المكانة الاجتماعية عند **فيبر** تشير إلى خاصية تتكون من خلال التفاعلات الاجتماعية "وتعبر عن مدى الهيبة أو الاحترام أو الشرف الذي يناله الفرد من الآخرين ،أي أن المكانة تتحدد أساسا من خلال إدراكات و تصورات الناس لبعضهم البعض " ⁽⁵⁾

وقد أعطى **فيبر** مفهوم "أسلوب الحياة" دورا في التشكل الموقف الطبقي. فالطبقة لا تحدد فقط من خلال الملكية الإنتاجية ،ولكنها تتحدد أيضا وبشكل متزايد من خلال أنماط الاستهلاك و

¹- السيد عبد الحليم الزيات: البناء الطبقي الاجتماعي ،دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 2003، ص39.

²-cazeneuve (jean):les stratifications sociales in la sociologie.,les dictionnaires marobaid 1972,p6 .

³-,encyclopedia : voir hierarchies dahrendrofn,p18

⁴-ipid,p19.

⁵-السيد الحسيني: مفاهيم علم الاجتماع ،جامعة عين شمس، 1992، ص234

أساليب الحياة،⁽¹⁾ وهو بذلك كانت له الأسبقية في النظر الى أسلوب الحياة كمؤشر هام في دراستنا للطبقات الاجتماعية و تحديدها .

وعلى الرغم من أن تصورات ماكس فيبر مصدرا أساسيا لدراسة الطبقات الاجتماعية فى الاتجاه الوظيفي، هناك تحليلات أخرى برزت في هذا الاتجاه في تفسير ظاهرة اللامساواة لعل أبرزها تحليل كنجزلي دافيز و ولبرت مور اذ يريان أن أشكال اللامساواة أو التدرج الاجتماعي، أمر من طبائع المجتمعات ، كما أنه ضرورة حتمية لوجود واستمرار المجتمع الإنساني ، تلك الضرورة التي تقتضيها حاجة أي مجتمع لوضع وتحفيز الأفراد داخل البناء الاجتماعي.

فالتدرج الاجتماعي ميكانيزم وظيفي يلجأ له المجتمع لتوزيع الأفراد ، داخل الأوضاع الاجتماعية المختلفة، وتحفيزهم على أداء الواجبات التي يقتضيها وجودهم داخل هذه الأوضاع. ولما كان بعض هذه الأوضاع أهم، من الناحية الوظيفية، من بعضها الآخر ، وتحتاج إلى مهارات خاصة أو تدريب ، لذا وجب على المجتمع عند توزيع الافراد أن يحدد: أولا: بعض المميزات التي تمثل أداة تحفز لشغل هذه الأوضاع .

ثانيا: تحديد طريقة لتوزيع هذه المميزات توزيعا يتفاوت ،بناء على ما تقتضيه هذه الأوضاع، وعندما تصبح هذه المميزات وطريقة توزيعها جزءا من النظام الاجتماعي، فإن ذلك يفضي إلى نشوء التدرج الاجتماعي.⁽²⁾

أما تالكوت بارسونز - فيحلل التدرج الطبقي في حدود الإطار المرجعي لنظرية الفعل الاجتماعي لديه وهو يؤكد على القيم الاجتماعية و النسق القرابي كمحددان للطبقة . فالطبقة الاجتماعية في ضوء التصور البارسونزي عبارة عن "حاصل جمع الوحدات القرابية التي تتقاسم أعضائها مكانة اجتماعية معينة في سياق هرم الترتيب الطبقي" ⁽³⁾.

¹-محمود عودة:اسس علم الاجتماع، جامعة عين شمس، 1999،ص216.

²- kingsley davies and Wilbert moore: "some principles of stratification ",in weluim m tumin(ed)reacting on social stratification,princeton hall,1970,pp 368-369.

³-t.parsons:"an analytical approach to the theory of social stratification ",in: essays in sociological theory. the free press ,1962,p62-79.

ويتحدد النسق الطبقي على أساس اختلاف الأسرة وتمايزها من حيث أسلوب حياتها ودخلها ومستوى معيشتها و الفرص المتاحة لأعضائها و خاصة الشباب.

وخلاصة ما يمكن قوله أن التحليل الوظيفي للبناء الطبقي يقوم على اختزال الطبقات إلى مجرد جماعات ،تتشرك في بعض الخصائص بدون أن يؤدي بها ذلك إلى حدوث صراع طبقي وتميل النظرية الوظيفية إلى التركيز على الدور المهم للطبقة الوسطى بوصفها عازلة بين الطبقتين (البورجوازية والعاملة).

3-2/الاتجاه الماركسي الكلاسيكي في التحليل الطبقي .

ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى الطبقة والانتماء الطبقي على أنه يتحدد بناء على الأوضاع البنائية المشتركة داخل التنظيم الاجتماعي للإنتاج. و يتحدد الوضع الطبقي للفرد بناء على وضعه الفعلي داخل علاقات الإنتاج *

ويعد ماركس أول من استخدم المنهج العلمي المنظم في دراسة الطبقات بهدف الوصول إلى القوانين التي تحكم التطور الاجتماعي. وفي هذا الصدد يعرف ماركس الطبقة "أي تجمع لأشخاص يؤديون نفس الوظيفة في عملية التنظيم الإنتاجي ،وتختلف الطبقات عن بعضها البعض على أساس أوضاعها الاقتصادية " (1)

ولقد جعل ماركس من الطبقة الاجتماعية مدخلا أساسيا لتحليل المجتمع و تحولاته ،وإن كان بعض العلماء المعاصرين قد عارضوا الكثير من مقولاته حول الطبقة الاجتماعية ،إلا أنهم قد وجد أنفسهم في حوار دائم معه ،بحيث كان من الصعب عليهم تجاهل المقولات الماركسية فالطبقات الاجتماعية عند ماركس هي عبارة عن حقائق تاريخية و اجتماعية ،تعكس التنظيم الاقتصادي ،حيث تكون المواجهة بين أولئك الذين يملكون وسائل الإنتاج و أولئك الذين لا يملكون سوى قوة عملهم . وعليه فإن ماركس يميز بين الطبقات على أساس اقتصادي متعلق بنمط الإنتاج السائد، بحيث يوجد دائما على مر التاريخ طبقة مهيمنة و طبقة مهيمن عليها طبقة تملك وسائل الإنتاج و تشتري من الطبقة المهيمن عليها قوت عملها.

*يرى ماركس ان -علاقات الإنتاج- في جوهرها جزء لا ينفصل عن عملية الإنتاج ،ومكملة لها في الوقت ذاته وأساس هذه العلاقات هو شكل الملكية أي علاقة الناس بوسائل الإنتاج(لمزيد من الاطلاع انظر السيد عبد الحليم الزيات:البناء الطبقي الاجتماعي،ص24).

¹-غريب سيد احمد:الطبقات الاجتماعية،مرجع سابق،ص65.

وعليه فالتحليلات الماركسية تتطلق وبشكل أساسي من مقولة مبدئية مفادها أن علاقة الأفراد بوسائل الإنتاج، هي العامل المحوري الحاسم في تحديد مفهوم الطبقة، وتشكل بنية التدرج الطبقي. (1)

وتبدو الملكية معيارا حاسما، داخل النظرية الماركسية، في تحديد علاقة الفرد بوسائل الإنتاج وفي تحديد طبيعة الموقع الذي يحتله داخل هذه العلاقة. فإذا كانت علاقته بوسائل الإنتاج علاقة ملكية، فإنه ينتمي إلى طبقة تختلف اختلافا جذريا عن الطبقة التي لا تملك وسائل الإنتاج هذه. وتفضي هذه الرؤية - كما سبقت الإشارة - إلى وجود طبقتين (طبقة البرجوازية) مالكة لوسائل الإنتاج و(طبقة عاملة) لا تملك من هذه الوسائل شيئا، لذا فالعلاقة بين هاتين الطبقتين علاقة عدائية بالضرورة. كما أنها علاقة قوامها الاستغلال الناتج عن انتزاع فائض العمل (أو فائض القيمة) ومن هنا فإن الطبقة لا تنفصل في التصور الماركسي عن الصراع الطبقي بين المستغلين و المستغلين.

وكتابات ماركس بشكل عام حول موضوع الطبقات تتسم بنوع من التناقض خاصة في تحديد عددها، حيث نجده يتحدث عن طبقتين في البيان الشيوعي، إذ يقول "أن ما يميز عصرنا، عصر البورجوازية هو اختصاره لصراع الطبقات، فالمجتمع كله، يتجه إلى الانقسام إلى معسكرين عدوين، وإلى طبقتين كبيرتين تتصادمان بشكل مباشر: البورجوازية و البروليتارية " (2) وهي الصيغة الأكثر استخداما في تحليلاته الطبقيّة، بينما يتحدث في كتابه **صراع الطبقات في فرنسا** عن سبع طبقات هي: 1- الأرستقراطية المالية 2- البورجوازية الصناعية 3- البورجوازية التجارية 4- البورجوازية الصغيرة 5- الطبقة الفلاحية 6- البروليتاريا 7- حثالة البروليتاريا (3) أما في كتابه "رأس المال" وهو من أهم مؤلفاته، فإن ماركس يتحدث عن ثلاث طبقات في الفصل الأخير من كتاب رأس المال هذا الذي حمل عنوان "الطبقات"، وهو عبارة عن مسودة من صفحتين غير مكتملتين، وكل ما قاله ماركس في هذه الأسطر "أن مالكي قوة العمل

¹- عبد الحليم الزيات: البناء الطبقي الاجتماعي، مرجع سابق، ص 29

²- marx, engles : **manifeste du parti communiste**, traduction Corine Iytor, librairie général française, 1973, p6.

³- karl marx : **les cultes de classes en France**, in max and engles ,œuvres choisies éditions du progrès ,Moscou ,1982, pp 213-266.

،وملاك العقارين والذين تعتبر مصادر دخلهم على التوالي الأجور ،الفائض والعائد العقاري،إذا العمال الأجراء الرأسماليون ،وملاك العقارين،يشكلون الطبقات الثلاثة الكبيرة للمجتمع الحديث القائم على نمط الإنتاج " (1)

فماركس في كتابه هذا يضع طبقة ثالثة وسطى بين الطبقة المهيمنة و المهيمن عليها ،أطلق عليها الطبقة البورجوازية الصغيرة.

إن هذا الاختلاف في تعداد الطبقات داخل البناء الاجتماعي، حسب المحللين يرجع الى التفرقة بين ماركس المؤرخ، الذي يحاول رصد الواقع بأمانة، وماركس المنظر الذي يحاول اختزال هذا الواقع إلى صيغ نظرية .

هذه التناقضات كانت أحد أهم الأسباب التي أدت بالباحثين المتبنين للنظرية الماركسية إلى محاولة مراجعة بعض القضايا وفق التصورات الحادثة بالمجتمع كما سنري في المباحث اللاحقة.

¹-George est Laura: clefs pour la sociologies sègues ,paris,1971,pp 82-83 .

3-3/ أوجه الاختلاف بين وجهتي النظر الكلاسيكية في التحليل الطبقي.

سنحاول تسليط الضوء على مجموعة من الاختلافات بين التصور الكلاسيكي لقضية الطبقة والانتماء الطبقي في كلا النظريتين (الماركسية-الوظيفية) في ضوء القضايا التالية:¹

3-3-1- البناء في مقابل الفعل:

يحدد التصور الماركسي الطبقات بوصفها بنية موضوعية للأوضاع الاجتماعية، ترتبط إحداها بالأخرى بناء على إنتاج وانتزاع فائض القيمة، وبالتالي يحدد طبقتين أساسيتين داخل المجتمع الرأسمالي، هما: (البورجوازية-العاملة)؛ أما النظرية الوظيفية فهي لا تولي أهمية لمثل هذا البناء الموضوعي، فهي ترى أن الطبقة، والانتماء الطبقي، نتاجا لسلوك تحفيزي للفاعلين الاجتماعيين الذين يمكن تحديدهم. أي أن الطبقات تتحدد من خلال شكل الفعل الاجتماعي.

وعليه فالماركسية تؤمن بالدور المركزي للتحديد البنائي الموضوعي، أما الوظيفة فإنها تميل إلى اختزال الأبنية الموضوعية للعلاقات الاقتصادية والسياسية إلى علاقات ذاتية تقوم على الفعل الاجتماعي*.

3-3-2- التصور الأحادي للطبقة في مقابل التصور متعدد الأبعاد (الملكية في مقابل تعدد المحددات):

الخلاف الثاني بين النظرية الماركسية و النظرية الوظيفية يتمثل في أن النظرية الماركسية تولي أهمية محورية للطبقة بوصفها الأساس الذي يشكل الانقسام الموجود بين الجماعات الاجتماعية، ويشكل أشكال الترابط أو الصراع بين هذه الجماعات. لذا فإن الطبقة لا تنفصل - داخل التصور الماركسي - عن الصراع الطبقي ودوره في بلورة الخلافات

¹ - Val Burris: **Capital Accumulation And The Rise Of The New Middle Class**, Op .Cit ,Pp 69-87.

*-يقصد فيبر بالفعل الاجتماعي انه يشمل على كل مظاهر السلوك الإنساني طالما يضي عليها الأفراد معنى ذاتيا(لمزيد من الاطلاع
max weber: **the theory of social and economic organization** ,trans by Henderson and parsons ,the
free press,1949,pp115-118.

السياسية، ذلك الصراع الذي لا يعد المحرك الأساسي للتاريخ وأنه الأداة الرئيسية للتغيير الاجتماعي.

أما النظرية الوظيفية فتري أن الملكية لا تعد أساسا للانقسام بين الجماعات بل ثمة أسس أخرى لهذا الانقسام مثل نظام المكانة أو الهيئة أو السلطة أو العرق أو الدين، تتواجد جنبا إلى جنب مع الملكية وتساويها في الأهمية وتشكل أسسا للانقسام بين الجماعات الاجتماعية كما تشكل أسسا للتحويل الذي يتم داخل المجتمع. فهذا الاتجاه كان يدرك بوضوح أن التغيرات الاقتصادية تنتج كرد فعل للحاجات الاقتصادية، وهي مشروطة بمجموعة كبيرة من العوامل تشمل العوامل الديمغرافية والجغرافية والتكنولوجية والمادية (1)

3-3-3- ثنائية الطبقة في مقابل تعددية الطبقة:

إن التصور الماركسي للبناء الطبقي يؤكد على أن البناء الاجتماعي للمجتمع يتكون من طبقتين أساسيتين، طبقة مالكة لوسائل الإنتاج، (مستغلة) وأخرى لا تملك وسائل الإنتاج (مستغلة) والتناقض بين الطبقتين يكون صارخا .

أما النظرية الوظيفية فهي تري أن هناك تعددية في البناء الطبقي ترتبط بتعددية الانتماء الطبقي، وان هناك طبقة وسطى تتوسط الطبقتين الأساسيتين في المجتمع - بورجوازية، وعاملة- فالمجتمع في تطوره يعتمد إلى حد كبير على الطبقة الوسطى التي توجد بين الطبقتين الأساسيتين.

3-3-4- الاستغلال في مقابل الهيمنة:

تري النظرية الماركسية أن المنطق الأساسي الكامن وراء العلاقات الطبقيّة و الصراع الطبقي هو الاستغلال؛ وما الهيمنة السياسية والأيدولوجية إلا وسائل تضمن هذا الاستغلال وتعيد إنتاج علاقاته المتنوعة. ومن ثم فإن العلاقة بين الطبقات تعد علاقة عدائية بالأساس، لكونها قائمة على الاستغلال.

¹-احمد زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية و النقدية، مرجع سابق، ص99.

أما النظرية الوظيفية فتري أن الهيمنة لا ترتبط بالاستغلال الاقتصادي بل أنها ذات استقلال خاص بها، وتتشكل بناء على أسس مغايرة لعلاقات الاستغلال الاقتصادي. و إذا ما ترتب على هذه الهيمنة شكل ما من أشكال الاستغلال فذلك راجع إلى ما تقضيه علاقات التدرج أو النفاضل الموجودة في المجتمع، وما يترتب عليهما من سلطة أو هبة اجتماعية.

3-3-5- علاقات الإنتاج في مقابل علاقات السوق:

تولي النظرية الماركسية أهمية كبيرة لعلاقات الإنتاج في تحديد الطبقة و الانتماء الطبقي، في مقابل الأهمية التي توليها النظرية الوظيفية لعلاقات السوق. فهي ترى أن الطبقات تعد تعبيراً عن أوضاع مشتركة داخل السوق. تلك الأوضاع التي تقضي إلى تماثل أعضاء الطبقة الواحدة في نفس فرص الحياة، أي فرص الحصول على الأشياء (أو الموارد) ذات القيمة داخل المجتمع. فالأفراد الذين يتشابهون في نفس فرص الحياة يحتلون نفس الوضع الطبقي. ويتحدد هذا الوضع من خلال مجموع المواقع التالية:

- موقع السوق: أي الوضع الاقتصادي الذي يتكون من مصدر وحجم الدخل، ودرجة الأمان في العمل، والفرصة في الحراك المهني الصاعد.
- موقع العمل: أي مجموع العلاقات الاجتماعية التي يدخل الفرد فيها بمقتضى وضعه داخل تقسيم العمل.
- موقع المكانة: أي وضع الفرد في هيراركية الهيبة داخل المجتمع.

4:الاتجاه الحديث للتحليل الطبقي وتحليل الطبقة الوسطى

ختمنا الفصل السابق بأوجه الاختلاف بين وجهتي النظر الرئيسيين في تحليل السياق الطبقي ونتيجة لذلك خضعت هاتين الأخيرتين إلى أشكال من المراجعة وإعادة النظر في طرح بعض القضايا الأساسية وعلى رأسها الموقع الطبقي للطبقة الوسطى .

وسوف نوضح ذلك بدأ بعرض لأمثلة من المراجعات التي تمت في كل نظرية ثم التطرق إلى الطبقة الوسطى الجديدة في كل اتجاه ، والمؤكد أن أشكال المراجعة هذه وإعادة النظر في بعض الأسس الإبيستيمولوجية داخل كل نظرية لا يمكن فهمه بمعزل عن التغييرات التي شهدها المجتمع الرأسمالي منذ أواخر الخمسينات ، خاصة منها المتعلقة بنشأة الطبقة الوسطى الجديدة واتساع قاعدتها كما سبقت الإشارة ، هذه التغييرات أكدت فشل نموذج " الإجماع السياسي " الذي راهنت عليه النظرية الوظيفية ، بحيث تزايدت الصراعات الاجتماعية والسياسية ، كما لم تختفي الفوارق الطبقية ولم يتحقق مجتمع الوفرة " نهاية الإيديولوجية " الذي بشرت به النظرية الماركسية وبالتالي استمرار أزمة المجتمع ، هذا ما استدعى الباحثين إلى محاولة مراجعة الأسس النظرية داخل كلا النظريتين وانتقادها وسنوضح ذلك فيما يأتي.

4-1:النظرية الوظيفية الحديثة وتحليل الطبقة الوسطى

هناك العديد من الاجتهادات والمحاولات التي اتسمت بالطابع التوفيقى والتي ركزت على موضوع الصراع في الدراسة " الطبقة الاجتماعية " أو " أنماط التدرج الاجتماعي " فرغم التركيز على الاتجاه الصراعي باعتباره أهم قضية أسقطت (لم تأخذ موقعها داخل النظرية الوظيفية) .

ورواد هذا الاتجاه كثيرون من بينهم (جون راكس ، لكود ، لويس كوزر ، داهار ندروف) ، هؤلاء الرواد يوصفون في كثير من الأحيان بأنهم ينتمون إلى الماركسية الحديثة ، نظرا لتبينهم بعض قضايا ماركس كدراسة الصراع الطبقي ، إلا أنهم في الواقع ينتمون إلى الاتجاه النظري الوظيفي الحديث ذلك أن رؤيتهم للصراع تمت في إطار التوازن أو بحث النسق عن التوازن ، فدراسة الصراع تتم " لا بوصفها أداة لتفكيك الأنساق الاجتماعية ، بل بوصفها وظيفة داخل هذه الأنساق " (1)

حتى وإن أفضى هذا الصراع الى " تغيير في ميزان القوى " فإن ذلك لا يؤدي إلى الثورة الكاملة ، ولكنه يؤدي إلى نوع من التوفيق والإصلاح (2)

أن الحديث عن الطبقة الوسطى الجديدة داخل تراث النظرية الوظيفية لا يشكل أي إشكالية ، ذلك أن هذه النظرية ترفض من البداية فكرة انقسام المجتمع إلى طبقتين أساسيتين ، وترى أن المجتمع يعتمد إلى حد كبير على الطبقة الوسطى ، إضافة إلى تسليمها بتعددية معايير الانتماء الطبقي ، ولا تتخذ من معيار الملكية معيارا أساسيا لهذا الانتماء ، انطلاقا من هذا الطرح نرى أن النظرية الوظيفية لا ترى صعوبة في القول بوجود بناء طبقي - يحتوى على أكثر من طبقة .

وقد حاولت الاتجاهات الوظيفية المحدثه - عبر حوارها مع الماركسية و ارتكازها إلى مفاهيم - فيبرية - أن تقدم تصورا لماهية الموقع الطبقي لهذه الجماعات البينية التي أصبحت تحتل موقعا وسطا بين الطبقتين الأساسيتين داخل المجتمع ، وعليه فقد اعتمدت هذه الاتجاهات على مجموعة من المعايير شكلت منطلقا لتحديد الموقع الطبقي لجماعات الطبقة الوسطى الجديدة تمثلت فيما يلي :

4-1-1:تحديد الموقع الطبقي بناءً على معايير السلطة .

¹: جون راكس :مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية، ترجمة وتقديم محمد الجوهري و آخرون، منشأة العارف ، الإسكندرية،

الطبعة الأولى، 1973، ص ص 175 - 176 .

²: نفس المرجع ، ص 195 .

4-1-2: تحديد الموقع الطبقي بناءً على معايير التفرقة بين العمل اليدوي وغير اليدوي.
4-1-3: تحديد الموقع الطبقي بناءً على معايير السلطة وتقسيم العمل (الطبقة الوسطى بوصفها طبقة خادمة).

سنحاول فيما يأتي تحليل هذه المعايير بالتفصيل

4-1-1: تحديد الموقع الطبقي بناءً على معايير السلطة :

يعد **داهاندرروف** من أهم الرواد الذين عبروا عن هذا الاتجاه فتصور -**داهر ندرروف**- للطبقة الاجتماعية ينطلق من التغيرات البنائية التي تعرض لها المجتمع الرأسمالي ، ويحدد معيار السلطة كمحدد أساسي للبناء الطبقي ، فهو يرى أن اعتماد ماركس على معيار الملكية بوصفها أساس الطبقة الاجتماعية ، أمر خاطئ ، ذلك أن التغيرات التي حدثت أفضت إلى انفصال الملكية عن العمليات الخاصة بالتحكم الفعلي في الموارد الإنتاجية ، ونمو الشركات المساهمة وفصل الملكية عن الإدارة ، أدى إلى عدم مصداقية معيار التقسيم الطبقي بناءً على ملكية أو عدم ملكية وسائل الإنتاج .

فالسطة عند **داهر ندرروف** هي العلاقة الاجتماعية الأعم ، وما التحكم في وسائل الإنتاج إلا حالة خاصة من حالات ممارسة السلطة ، بناءً على ذلك فإن موقع الفرد طبقياً يتأسس بناءً على موقعه داخل علاقات السلطة ، وليس بناءً على موقعه داخل العلاقات الاقتصادية كما ذهب ماركس - فسلطة القرار في المؤسسات الكبيرة في يد أصحاب الخبرة ، وليس أصحاب رؤوس الأموال - وإذا كانت التغيرات البنائية التي تعرض لها المجتمع الرأسمالي قد جعلت **داهر ندرروف** يستبدل علاقات الإنتاج بعلاقات السلطة كأساس للتحديد الطبقي ، فإن هذا التغيير جعله ، أيضاً يرى أن النموذج الثنائي الذي قدمه ماركس للبناء الطبقي داخل المجتمع الرأسمالي ، لأن هذا البناء لم يشهد استقطاباً ثنائياً بين -البورجوازية والبروليتارية- كما تتبأ ماركس، فالتغيرات البنائية التي تعرض لها المجتمع الرأسمالي أدت إلى نشأة واتساع جماعات اجتماعية تحتل موقعا وسطا بين هاتين الطبقتين الأساسيتين ، وتشكل قاعدة الطبقة الوسطى

الجديدة، كما شهدت فيما بينها أشكالاً من التمايز الداخلي خاصة بين الموظفين ذوي المرتبات المنخفضة والمديرين (1) .

ويبنى **داهرنديروف** تصوره لتحديد موقع الطبقة الوسطى على رفضه لنموذج ثنائية القطب الذي قدمه **ماركس** ، واعتماده على مفهوم السلطة بدلاً من العلاقات الاقتصادية كمحدد للبناء الطبقي بشكل عام و موقع الطبقة الوسطى بشكل خاص - كما سبقت الإشارة إليه.

ولما كان الوضع الطبقي للجماعات الوسطى عند **داهرنديروف** لا يتأسس بناءً على ملكية وسائل الإنتاج ، بل بناءً على علاقات السلطة التي تحوزها داخل التنظيمات الصناعية والبيروقراطية ، وبالتالي فإن علاقات السلطة ، وليس العلاقات الاقتصادية هي الأفضل في تحديد الموقع الطبقي .

فمع انفصال الملكية عن الإدارة، أصبحت علاقات السلطة ، وليس علاقات الملكية ، ذات دور مهيم في تحديد الموقع الطبقي، لذا فإن الطبقات تتحدد بناءً على مشاركتها أو عدم مشاركتها في ممارسة السلطة ، ويتحدد الموقع الطبقي للجماعات البينية التي تضم الموظفين ذوي الرواتب الذين يشكلون قاعدة الطبقة الوسطى بناءً على ممارسة أو عدم ممارسة السلطة، ويقسم **داهرنديروف** بناءً على هذا المعيار هذه الجماعات - الوسطى - إلى جماعتين أساسيتين هما :-

- 1- المشرفون: أي الموظفين الذين يمارسون سلطة إشرافية داخل مكان العمل.
- 2- غير المشرفين: أي الموظفين الذين لا يمارسون مثل هذه السلطة داخل مكان العمل ويخضعون لإشراف الجماعة الأولى.

4-1-2: تحديد الوضع الطبقي للطبقة الوسطى بناءً على معيار التفرقة بين العمل اليدوي وغير اليدوي :

ويعد **أنطوني جينز** ، واحد من أهم من عبروا عن هذا الاتجاه حيث يرى الاكتفاء بتحليل الانقسام الطبقي بمفهوم واحد كأساس للانتماء الطبقي - كمعيار الملكية مثلاً - تفشل في فهم

¹ : terry Nicholas clark and seymour martin Lipset: " are social class Doing? ,international sociology , No 4, vol 6 Dec, 1991 , P.400 .

الموقع الطبقي لجماعات الطبقة الوسطى الجديدة ، لأن الوضع الطبقي لهذه الطبقة يتحدد في ضوء امتلاكها لمؤهلات علمية وتقنية ، وليس في ضوء ملكيتها لوسائل الإنتاج ، وقد حاول جيندز أن يحدد الوضع الطبقي للجماعات البينية ، التي تشكل قاعدة الطبقة الوسطى الجديدة استناداً إلى معيار التفرقة بين العمل اليدوي والعمل غير اليدوي (1) وينطلق جيندز من التصور الفيبري الذي يحدد الطبقة والوضع الطبقي في ضوء "مقدره السوق" ، والتي تعني قدرة الفرد على الحصول على مميزات أفضل ، في مقابل المميزات أو المكاسب التي يحصل عليها الآخرون .

ويرى أن هناك ثلاثة أنواع من "مقدرة السوق" داخل المجتمع الرأسمالي ذات أهمية حاسمة في تشكيل البناء الطبقي ، وفي تحديد الوضع الطبقي وهي * ملكية وسائل الإنتاج * امتلاك مؤهلات علمية أو تقنية * امتلاك قوة العمل اليدوي . وتقضي هذه القدرات إلى تأسيس بناء طبقي يحتوي على ثلاث طبقات أساسية هي (2)

1- الطبقة العليا : وهي تملك وسائل الإنتاج .

2- الطبقة الوسطى : وهي تملك المؤهلات العلمية والتقنية .

3- الطبقة العاملة : وهي تملك قوة العمل اليدوي .

إن هذا البناء الطبقي ، الذي يحتوي على ثلاثة طبقات قدمه جيندز بناءً على معيار التفرقة بين العمل اليدوي والعمل غير اليدوي ، خاصة بين الأوضاع الطبقيّة الخاصة بالطبقة الوسطى والطبقة العاملة ويؤكد جيندز أن أعضاء الطبقة الوسطى الجديدة غالباً ما يقومون - عبر امتلاكهم للمؤهلات العلمية والتقنية - بالمهن ذات الطابع غير اليدوي ، وهم بذلك يحصلون على مكاسب سوق أفضل من المهن اليدوية ، كما يكون لهم فرص أفضل في الحراك الصاعد ويشاركون بشكل أكبر في بناء السلطة داخل المشروع ، على العكس من المهن اليدوية التي تمثل الطبقة العاملة (3) .

1 : A.Giddens: *Class Structure Of The Advanced Societies*,Op.Cit.,P179-186 .

2 : *ibid* , P 107 .

3 : Val Burrs , *ibid* , p

4-1-3: تحديد الموقع الطبقي للطبقة الوسطى بناءً على معيارية السلطة وتقسيم العمل - الطبقة الوسطى بوصفها طبقة خادمة - :

إن هذا الاتجاه حاول أن يجمع بين الاتجاهين السابقين بمعياريهما - أي معيار السلطة ومعيار تقسيم العمل - كأساس لتحديد الموقع الطبقي للطبقة الوسطى الجديدة .

ويعد "ج- جولد ثورب john goldthrope : أحد رواد الاتجاه الوظيفي الذي يقدم لنا تحليلاً للتحديد الطبقي على أساس معياري السلطة وتقسيم العمل .

فهو يؤسس تصوره للوضع الطبقة الوسطى الجديدة بناءً على تصوره لطبيعة التحليل الطبقي بشكل عام ، حيث يرى أن الاهتمام الأساسي للتحليل الطبقي ينصب على دراسة العلاقات بين الأبنية الطبقة المختلفة والحراك الطبقي ، وأشكال اللامساواة وأشكال الفعل التي تتأسس على أساس طبقي .

فجولد ثورب goldthrope يرى بأن التحليل الطبقي يهدف إلى تفسير أشكال الارتباط بين الأوضاع التي تحددها علاقات التوظيف داخل أسواق العمل ، وداخل الوحدات الإنتاجية في مختلف القطاعات الاقتصادية ، أي العمليات التي يتوزع بناءً عليها الأفراد والأسر داخل أوضاع طبقية وتنعكس بالتالي على فرص الحياة المتاحة لهم وعلى القيم والمصالح الاجتماعية التي يحاولون تحقيقها .⁽¹⁾

فالأوضاع الطبقة إذا عند **جولد** تتحدد بناءً على فرص الحياة المشتركة بين الأفراد ، تلك الفرص التي تحددها علاقات السوق ، وعلاقات العمل وما يترتب على ذلك من سلطة هذا التحديد عند **جولد** يميز لنا ما يلي :

1- أشكال التفاوت بين مهن ذوي الياقات البيضاء ، والعاملين لحسابهم والعمال .

¹ : john goldthrope and gordn marshall: " the promising future of class analysis ,are ponese-to-Reconnect Critiques " , sociology , Vol 26 No 3 , Augusts - 1992 , p 382 .

2- أشكال التفاوت بين ظروف ووظائف العمل، وما يرتبط بذلك من تباين في أوضاع

السلطة بين أولئك الذين يمارسون أشكالاً متفاوتة من السلطة داخل العمل العمال ، مثل

مهن ذوي الياقة البيضاء الذين يشكلون جماعات الطبقة الوسطى الجديدة .

ويقدم ثورب بناءً على ما سبق تصنيف للجماعات الطبقيّة داخل المجتمع - البريطاني - على

أساس التفاوت في الظروف المهنية والوضع الطبقي إلى سبع طبقات على النحو التالي :-

الطبقة الأولى:

تتكون من المتخصصين ذوي الدرجات العليا ، سواء كانوا يعملون لحسابهم أو يعملون بأجر

- مثل المديرين والموظفين ذوي الدرجات العليا - .

الطبقة الثانية :

تتكون من المتخصصين والمديرين ذوي الدرجات الأدنى - مقارنة بالطبقة الأولى - والتقنيين

والإداريين والموظفين ذوي الدرجات العليا، والمشرفون الذين لا يعملون عملاً يدوياً .

الطبقة الثالثة:

تتكون من الموظفين الذين يقومون بالأعمال الروتينية والكتابية داخل المؤسسات الإدارية

والتجارية، والموظفين الذين يقومون بالأعمال ذاتها في مجال الخدمات.

الطبقة الرابعة:

وتتكون من صغار الملاك بما في ذلك " الفلاحون " وأصحاب الملكيات الصغيرة ، والحرفيون

والعاملون لحسابهم .

الطبقة الخامسة:

تتكون من التقنيين ذوي الدرجات الدنيا الذين يقومون بأداء الأعمال ذات الطابع اليدوي .

الطبقة السادسة:

تتكون من العمال الأجراء المهرة الذين يقومون بأداء مهام العمل ذات الطابع غير اليدوي ،

داخل كل فروع الصناعة .

الطبقة السابعة:

تتكون من العمال الأجراء، في مجال الصناعة الذين يقومون بأداء الأعمال التي لا تحتاج إلى مهارة، أو تحتاج مهارة بسيطة، بالإضافة إلى عمال الزراعة.

ويرى **جولد** أن -الطبقة السادسة والسابعة- تكونان فيما بينها الطبقة العاملة ويستخدم **جولد** مصطلح " الطبقة الخادمة" (*) لتوصيف الموقع الطبقي الذي تحتله هذه الجماعات ، ذلك الموقع الذي تحتله بناءً على وضعها داخل التنظيمات البيروقراطية والصناعية ، وأنها أصبحت جماعات مهنية وذات تأثير كبير في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل رأسمالية أواخر القرن العشرين .

إن هذه المعايير التي حددتها النظرية الوضعية كأسس لتحديد موقع الطبقة الوسطى الجديدة لها ما يمثلها في الماركسية المحدثه، والتي تبني روادها نفس المعايير في التحديد الطبقي فنجد مثلاً **إريك رايت** تبني معيار السلطة و**هونج وكوون** تبني معيار التفرقة بين العمل اليدوي وغير اليدوي و**كارشيد** تبني معيار السلطة و تقسيم العمل في تحليلهم لموقع الطبقة الوسطى وهذا ما ستعرفه أكثر في المبحث اللاحق .

*-استعار جولد مصطلح الطبقة الخادمة من الماركسي الاسترالي "كارل رينير" الذي صاغه في أوائل الخمسين، حيث يرى ان اهم سمات المجتمعات الرأسمالية المتقدمة يتمثل في النمو الهائل للوظائف الادارية و الاشرافية و المتخصصة، وقد شكل شاغلو هذه الوظائف طبقة خادمة (لمزيد من الاطلاع: karl renner: "the service class "in tom bottomore and patrik good ,oxford,1978,p249- 250.

4-2: النظرية الماركسية الحديثة وتحليل الطبقة الوسطى :

إن المراجعات النظرية التي حدثت داخل الماركسية قد اهتمت عبر نقدها لبعض المسلمات الماركسية الكلاسيكية - على دور الفاعل الاجتماعي، كما اهتمت بأشكال الصراع غير الطبقي، وأكدت على الطابع المعقد للعلاقة بين المستويات المختلفة التي تشكل قوام التكوين الاجتماعي للمجتمع. ومن ثم لم يعد الاقتصاد أو الملكية بمثابة الأساس في تحديد الوضع الطبقي، ومن هنا تم التركيز على العوامل غير الاقتصادية - كعلاقات السلطة أو ما يمتلكه الفرد من مؤهلات مثلاً - في تحديد الوضع الطبقي - والهدف الأساسي الذي تسعى إليه هذه المراجعة هو : توسيع أو تحديث قاعدة النموذج الطبقي الثنائي ، الذي صاغته الماركسية الكلاسيكية كأساس للتحليل الطبقي لكي يحتوى على طبقات أخرى.

فالنموذج الثنائي لم يعد يتماشى مع طبيعة التعقد الذي مس البناء الطبقي داخل المجتمع الرأسمالي، والذي يعد نمو واتساع قاعدة الطبقة الوسطى من أبرز معالمه . إن التحولات التي مست المجتمع الرأسمالي لم تصادق على تصور ماركس لطبيعة " تطور الدولة الرأسمالية " إلى الدولة الاشتراكية " وطبيعة الانقسام الطبقي الموجودة داخل المجتمع ، كما أنها لم تؤد إلى التحول الثوري الذي تنبأ له (ماركس) ، ولم تسفر عن دور طليعي للطبقة العاملة، فالهدف من الاتجاهات النقدية هو تخليص الاتجاه الماركسي من التحريف الذي تعرضت له طوال مسيرتها التاريخية ، والذي جعلها ذات طابع إختزالي وذات طابع اقتصادي حتمي ، فهي ترى أن كل الظواهر الاجتماعية يمكن أن تفسرها بناءً على الأساس الاقتصادي وحده وأن أي صراع طبقي (سياسي ، اجتماعي ، إيديولوجي) يتم تفسيره بوصفه انعكاساً للمستوى الاقتصادي وحده.(1)

¹ - Alan hunt :class and class structure ,Lawrence and wish art ,London, 1977 ,p7.

ويركز هذا الاتجاه في تحليله للطبقة الوسطى على قضية أساسية مفادها : أن الاتساع المتزايد لجماعات الطبقة الوسطى الجديدة قد مثل تحدياً أساسياً داخل النظرية الماركسية، بصفة عامة والتصور الماركسي الكلاسيكي للبنية الطبقيّة بصفة خاصة ، الأمر الذي أدى إلى أن أصبحت قضية الطبقة الوسطى الجديدة من القضايا الخلافية داخل النظرية الماركسية (1) .

وقد احتلت قضية الطبقة الوسطى الجديدة مساحة واسعة داخل المراجعات التي تمت داخل النظرية الماركسية - كما تم الإشارة إليه أعلاه - وأفضى ذلك إلى نشأة اتجاهات جديدة في التحليل الطبقي - من داخل النظرية الماركسية تتفق فيما بينها على أن الأفكار التي قدمتها الماركسية الكلاسيكية فيما يختص بالطبقة والتحليل الطبقي لا تصلح لتفسير خصوصية الوضع الطبقي للطبقة الوسطى الجديدة ، تلك الطبقة التي يحتاج فهمها وتفسير وضعيتها الطبقيّة إلى البحث عن معايير غير اقتصادية ، ورفض الحتمية الاقتصادية التي شابت بعض التفسيرات الماركسية حينما ردت كل الظواهر الاجتماعية والطبقيّة إلى الأساس الاقتصادي وحده وباتت التفسيرات الماركسية الجديدة تطرح من ثم - أساساً غير اقتصادية في التحليل الطبقي ، وترى أن هذا الأساس لا يكفي وحده لتحديد وتفسير التمايز الطبقي التي ارتبطت بنشأة الطبقة الوسطى الجديدة من ناحية وكانت سبباً في اتساع قاعدتها الاجتماعية من ناحية أخرى ومن أهم البدائل الماركسية التي تبلورت لفهم الموقع الطبقي للطبقة الوسطى الجديدة ما يلي :

4-2-1: الطبقة الوسطى الجديدة بوصفها جزءاً من البورجوازية الصغيرة :

يمثل هذا المدخل أحد البدائل المتميزة الذي انطلق من فكرة تطوير النموذج الطبقي الثنائي الذي تبنته الماركسية الكلاسيكية - كما تم شرحها في المباحث السابقة. إذ يرى أن تحليل البناء الطبقي إلى ثنائية (رأسمالية - عمالية) لا يفسر التحولات التي شهدتها البناء الاجتماعي الطبقي ، إذ لا يمكن تجاهل الفئات البينية التي لا تنتمي إلى الطبقة الرأسمالية ولا للطبقة العاملة، فهو إذا يحاول أن يقدم بديلاً منهجياً للتقسيم الطبقي وتوصيف هذه الجماعات البينية .

¹: e.o.wright: class analysis, history and emancipation, .

فهذا المدخل ينطلق من فكرة أن هذه الجماعات البينية هي جزء من البرجوازية الصغيرة يطلق عليها " البرجوازية الصغيرة الجديدة " .

ومن أهم من يعبر ويتبنى هذا الاتجاه " نيكولاس بولانتزاس " هذا من خلال تبنيه لمفهوم التشكيلة الاجتماعية بدلا من مفهوم نمط الإنتاج الذي مكنه من توسيع قاعدة النموذج الطبقي الثنائي ، ووجود طبقة وسطى جديدة ، ويفرق بولانتزاس ، داخل هذه الأوضاع ، بين الأوضاع الخاصة بالبرجوازية الصغيرة القديمة أو التقليدية (التي تضم الحرفين وصغار التجار المعتمدين على أشكال السلعي البسيط) والأوضاع الخاصة بالطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة (التي تضم الأجراء الذين يقومون بأداء العمل غير المنتج) ويرى أن هذه الأوضاع لا تعد جزء من الطبقة البرجوازية كما لا تعد جزءاً من الطبقة العاملة (1).

إن الأوضاع الطبقيّة الخاصة بالبرجوازية الصغيرة القديمة عند بولانتزاس تتعرض للتدهور المستمر نتيجة للتغيرات الاقتصادية المتمثلة في نمو الرأسمالية الاحتكارية ، هذا الأخير يؤدي إلى إعادة إنتاج الطبقة البرجوازية الجديدة - وتؤدي إلى اتساع قاعدتها * (من خلال ظهور وظائف جديدة ، ...) .

ويرى بولانتزاس أن الاتجاهات * التي تلحق هذه الطبقة بأي طبقة في ظل النموذج الثنائي تتجاهل خصوصية الوضع الطبقي للطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة كما تتجاهل معايير التحديد الطبقي الخاصة بهذه الطبقة في مقابل الطبقتين الأساسيين (برجوازية - عاملة) (2) فالبرجوازية الصغيرة الجديدة تعد لدى بولانتزاس طبقة مستقلة لها أوضاعها الطبقيّة التي تميزها، هذا من خلال تحديده لمجموعة من المعايير التي تحكم طبيعة هذه الطبقة وتحدد طبيعة الشرائح المكونة لها.

1-المعيار الاقتصادي (التفرقة بين العمل المنتج وغير المنتج) : يمثل هذا المعيار - للبولانتزاس - معياراً أساسياً في تحديد الموقع الطبقي للطبقات الأساسية بشكل عام ، وفي

¹ : : N , Paulantzas: **classes in Contem porary Capitalism** , transform the frunch bach – Verso – landon 1978 – p 206 .

² : ipid,p194

تحديد الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة بشكل خاص ، ويتكون المستوى الاقتصادي من العناصر التالية (1)

*العامل " المنتج المباشر " أي قوة العمل.

- *وسائل الإنتاج (موضوع وأدوات العمل) .

- *اللاعامل (أو المالك) الذي يمتلك فائض العمل (أي الناتج) .

وتتحدد الطبقات بناء على علاقة اللاعامل بوسائل الإنتاج من ناحية وعلاقة العامل بهذه الوسائل من ناحية أخرى فالعلاقة الأولى تعبر عن علاقة تطابق ، فالمالك هو الذي يملك وسائل الإنتاج ، ومن خلال تحكمه في هذه الوسائل يستطيع استغلال العمال استغلال مباشر من خلال انتزاع فائض القيمة من هؤلاء العمال بأشكال مختلفة . وهذا ما يجعل المالك في موقع اقتصادي مهيم (2)

أما العلاقة الثانية (علاقة العامل بوسائل الإنتاج) فهي تعبر عن علاقة انفصال تتجسد في انفصال العامل عن وسائل الإنتاج على الرغم من كونه المنتج المباشر بفائض القيمة الذي يستول عليه المالك ، وهذا ما يجعل العامل في موقع اقتصادي خاضع .

فالعلاقات إذا بوسائل الإنتاج - كما سبقه الشرح - تؤسس طبقتين أساسيتين ، طبقة لا تعمل ، وتملك وسائل الإنتاج ، تستولي على فائض القيمة ، وتحتل موقع طبقي مهيم من الناحية الاقتصادية (الطبقة الرأسمالية) ، وطبقة تعمل ولا تملك ، وتنتج فائض القيمة ، وتوجد في موقع طبقي خاضع من الناحية الاقتصادية (الطبقة العاملة) .

وأمام هذا التحليل نجد أنفسنا (ويطرح علينا هذا التحليل) أمام التساؤل ، ما موقع الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة في البناء الطبقي السابق الذي تتضح معالمه بناءً على العلاقة أعلاه السابقة الذكر خاصة إذا كانت هذه الطبقة ترتبط بالطبقة العاملة في علاقتها بوسائل الإنتاج (أي عدم ملكية وسائل الإنتاج) .

3-نيكولاس بولنترس:السلطة السياسية و الطبقات الاجتماعية،مرجع سابق،ص24

والإجابة على هذا السؤال عند بولانتزاس تكمن في تفرقة داخل علاقات الملكية بين: (1)
1- الملكية الاقتصادية: التي تعني الملكية الاقتصادية القانونية (التحكم الحقيقي في وسائل الإنتاج) .

2- الحيازة : والتي تعني التحكم في توجيه عملية الإنتاج (أي القدرة على وضع وسائل الإنتاج موضع الفعل) .

وبناءً على هذه التفرقة ، نجد أن الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة على الرغم من عدم ملكيتها لوسائل الإنتاج ملكية قانونية إلا أنها تمثل عنصراً فعالاً في توجيه عملية الإنتاج ، وضع وسائل الإنتاج موضع الفعل .

إن التفرقة داخل علاقات الملكية ، بين الملكية الاقتصادية والحيازة أحد المعايير التي سعت لتحديد الموقع الطبقي للطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة وهو غير كافي ذلك أنه بالإضافة إلى تقاطعها مع الطبقة العاملة في عدم الملكية فهي تشترك معها في خضوعها للاستغلال من الطبقة الرأسمالية ، لذلك يضيف بولانتزاس معيار آخر (له بعد اقتصادي أيضاً) يميز مواقع مختلف الطبقات ، ويتمثل في التفرقة بين العمل المنتج وغير المنتج (2)

هذا انطلاقاً من رفضها لفكرة العمل المأجور كمحدد لطبقة العاملة إذ يقول " ليست الأجور هي التي تحدد الطبقة العاملة من الناحية الاقتصادية : فالأجور تعد شكلاً من أشكال (العقد الاجتماعي) التي تحكم بيع وشراء قوة العمل ، فعلى الرغم من أن كل عامل يعد عاملاً أجيرياً ، فليس كل من يعمل بأجر يعد عاملاً ، كما أنه ليس كل من يعمل بأجر نقدي يقوم بأداء العمل المنتج" (3)

إن هذا التوضيح للعمل المأجور يصل بنا إلى أن هناك عاملون بأجر يقومون بأداء العمل المنتج ، المولد لفائض القيمة ويشكلون الطبقة العاملة ، وهناك عاملين بأجر الذين يقومون

¹: Nicos Poulantzas: *classes in Contemporary Capitalism* , op cit , P102 .

²-نيكولاس بولانتزاس: السلطة السياسية و الطبقات الاجتماعية، مرجع سابق، صص-25-24

²: peter mee ksims: "proctuctive and unproductive labor and the marx theory of class", review of radical political economic ,vol13 ,n3,1981,p32..

³: Nicos Poulantzas, *classes in Contemporary Capitalism* , op cit , P20 .

بأداء العمل غير المنتج يشكلون البرجوازية الصغيرة الجديدة ، فالعاملون في مجال تدوير رأس المال أو الذين يسهمون في تحقيق فائض القيمة ، بشكل غير مباشر لا يقومون بأداء عمل منتج مثل العاملين في مجال التجارة ، والدعاية والتسويق والمحاسبة والبنوك... الخ، لا يقومون بأداء " العمل المنتج " المولد لفائض القيمة، بل يعيشون على هذا الفائض التي تنتجه الطبقة العاملة ولا يتعرضون للاستغلال المباشر، الذي تتعرض له (الطبقة العاملة) من طرف

(الطبقة البرجوازية) .

ب-المعيار السياسي:

يشير بولانتزاس في تحليله للوضع الطبقي إلى عدم كفاية المعيار الاقتصادي في التحديد البناء الطبقي الاجتماعي ، ويرى ضرورة الاستعانة بالمعيار الإيديولوجي والسياسي عند تشريح الوضعية الطبقة وتحديدها بشكل عام وإذا تناولنا الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة بشكل خاص فعندما ما يتحدث بولانتزاس عن المعيار السياسي لتحديد الوضع الطبقي الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة، فإنه يهتم بعلاقات الإدارة والإشراف داخل التقسيم الاجتماعي للعمل وما يترتب على هذه العلاقات من هيمنة يمارسها هذه الطبقة على الطبقة العاملة لصالح الطبقة الرأسمالية " إن عمل الإدارة والإشراف يقوم في ظل الرأسمالية بإعادة الإنتاج المباشر ، داخل عملية الإنتاج ذاتها للعلاقات السياسية بين الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة"⁽¹⁾

بناءً على ذلك فإن القائمين بالعمل الإداري والإشراف لا يشكلون جزءاً من الطبقة العاملة على الرغم من أن عملهم يمكن أن يكون عملاً منتجاً في بعض جوانبه ، بموجب دورهم في تنسيق وتكامل العملية الإنتاجية ولكنهم لا يشكلون جزءاً من الطبقة العاملة بموجب دورهم في استمرارية علاقات الهيمنة والاستغلال الاقتصادي والسياسي التي تقع على الطبقة العاملة لصالح الطبقة الرأسمالية فموقع الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة داخل التقسيم الاجتماعي

1-Nicos Poulantzas: *classes in Contemporary Capitalisme* , op cit , Pp227-228 .

للعمل يتسم بالهيمنة السياسية على الطبقة العاملة ، كما يخضعون في الوقت نفسه لهيمنة رأس المال من الناحية السياسية أيضا .

ج - المعيار الإيديولوجي:

مما سبق وفي سياق تحديد وضعيه الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة تتطرق بولانتزاس إلى معيارين أبرزهما أن الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة تمارس أشكالاً من الهيمنة الاقتصادية والسياسية على الطبقة العاملة هذا ما جعلها لا تدخل في طيات الطبقة الرأسمالية ، إذ يؤكد - بولانتزاس - أن هذه الطبقة أيضاً تمارس هيمنة إيديولوجية في الوقت نفسه، وتتأسس هذه الهيمنة بناءً على التفرقة داخل التقسيم الاجتماعي للعمل ، بين العمل الذهني والعمل اليدوي ، ويترتب على هذه التفرقة احتكار المعرفة من جانب الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة لصالح الطبقة الرأسمالية ، واستبعاد الطبقة العاملة من هذه المعرفة، إن التفرقة بين العمل الذهني والعمل اليدوي يمثل دعامة إيديولوجية لاستبعاد العمال من تخطيط وتوجيه عملية الإنتاج ، وتدعيم دور الخبراء والمهندسين والمشرفين ، والفنيين ، بحجه أن الطبقة العاملة لا تستطيع تسير عملية الإنتاج بمفردها .

إذا فهؤلاء الأفراد يحتلون وضعا إيديولوجيا مهيمناً على الطبقة العاملة كما أنهم لا ينتمون إلى الطبقة البرجوازية لأنهم يخضعون لهيمنة رأس المال من الناحية الإيديولوجية أيضاً.⁽¹⁾ بناءً على ما سبق ، نجد أن محاولة بولانتزاس في التعريف لمحددات البناء الطبقي بصفة عامة والطبقة الوسطى - البرجوازية الصغيرة الجديدة - بصفة خاصة ، إضافة إلى الخروج من أسر النموذج الماركسي الثنائي الطبقة، وتوسيع قاعدته يشمل طبقات أخرى ، كما حاول إضافة معايير أخرى غير المعيار الاقتصادي ذو الطابع الحتمي التي تلعب دوراً فعالاً في تشكيل البناء الطبقي، هذا من خلال استخدامه لمفهوم (الاجتماعي) التشكيلية الاجتماعية ، بديلاً عن المفهوم الاقتصادي (نمط الإنتاج) .

¹: Nicos Poulantzas: *classes in Contemporary Capitalism* , op cit , P27

وبالرغم من تمكن بولانتزاس من تحدد وضعية ومصالح الطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة إلى أنه إنتهى إلى أن هذه الطبقة لا تملك على المدى الطويل موقعا سياسيا مستقلا بها، وهذا يعنى ببساطة أنه لا توجد داخل التشكيلة الاجتماعية الرأسمالية سوى طريقتين الطريق الرأسمالي (البرجوازي) ، والطريق البروليتاري (الاشتراكي)، ولا يوجد طريق ثالث تتبناه الطبقة الوسطى، وبالتالي لا يمكن لها أن تكون طبقة مهمة سياسياً ، إن هذا الطرح سيفضى في نهاية المطاف إلى اضمحلال هذه الطبقة (عدم وجود أوضاع طبقية مستقلة) ، فهي معرضة طوال الوقت للاستقطاب من قبل أوضاع الطبقتين الأساسيتين وفي هذا الشأن يقول بولانتزاس "فبحكم وضعها داخل التحديد البنائي للتقسيم الاجتماعي للعمل ، أي بحكم كونها طبقة بينية (وهذا مصطلح كان يرفضه عند توصيف الوضع الطبقي لهذه الطبقة) فهي دائما تتأرجح أو تتذبذب بين المواقف الطبقيّة الخاصة بالطبقة البرجوازية أو الطبقة العاملة،تستوي في ذلك البرجوازية الصغيرة الجديدة والقديمة فثمة أقسام من البرجوازية الصغيرة تتبنى المواقف الطبقيّة الخاصة بالطبقة البرجوازية ، وثمة أقسام أخرى تتبنى المواقف الطبقيّة الخاصة بالطبقة العاملة " ¹

ومن خلال تحليل ومناقشة المقدمات النظرية الذي انطلق منها بولانتزاس والنتائج التي إنتهت إليها - ترى الباحثة - أن هناك انفصال بين بولانتزاس الذي حاول تأسيس موقع خاص بالطبقة البرجوازية الصغيرة الجديدة وتحديد معايير خاصة بها تفرقها عن باقي الطبقات وبولانتزاس الذي يقر فى الأخير بأن هذه الطبقة لا تملك على المدى الطويل موقعا ولا موقفا طبقيا خاص بها بسبب نظرية الاستقطاب إلى أحد الأطراف (الطبقات) إما إلى الأعلى أو إلى الأسفل كنتيجة حتمية لهذه الطبقة .

وهذا ما يؤكد تشبعه بالإيديولوجية الماركسية هذا ما كان دافعا لنشأة بديل ماركسي آخر يحاول أن يؤصل لوضعية الطبقة الوسطى الجديدة بوصفها طبقة مستقلة وهذا ما سنوضحه في ما يأتي.

¹: نيكوس بولانتزاس: السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية ، مرجع سابق . ص ص 24-25 .

2-2-4: الطبقة الوسطى الجديدة بوصفها طبقة مستقلة بذاتها : أطروحة الطبقة الإدارية

المتخصصة

تحاول هذه الأطروحة أن تؤصل لوضعية الطبقة الوسطى الجديدة بوصفها طبقة مستقلة بذاتها تسمى بالطبقة الإدارية المتخصصة ، وقد تبنى كل من بارباراً وجوز إهرترش هذه الأطروحة وحاول تطويرها كنفذ للرؤية الماركسية الكلاسيكية في تحليلها للبناء الطبقي ، إذ يرى أن هذه الطبقة لا تمثل شريحة من طبقة أوسع (سواء كانت الطبقة العاملة أو الطبقة البرجوازية) (لأن هذه الطبقة - الإدارية المتخصصة - توجد في علاقة عدائية من الناحية الموضوعية ، مع الطبقة العاملة) .

وهما يعتمدان في ذلك مجموعة من المعايير التي تعكس واقع رؤيتهما لماهية الطبقة الوسطى ، ومحددات الوضع الطبقي قبل الخوض في تحديد المعايير تجدر الإشارة إلى تعريف الطبقة الإدارية المتخصصة عند باربارا وجون (بوصفها طبقة تتكون من العمال أصحاب الرواتب الذين لا يملكون وسائل الإنتاج ، ويقومون بأداء العمل الذهني ، وتكون وظيفتهم الأساسية هي إعادة إنتاج الثقافة والعلاقات الرأسمالية)⁽¹⁾.

ومن خلال هذا التعريف نجد أن الطبقة تتحدد من وجهة نظرهما - من خلال محددتين أساسيين هما:

1- معيار العلاقة المشتركة بالأصول الاقتصادية للمجتمع: (أي العلاقة بوسائل الإنتاج وأنماط الاستهلاك والتوزيع المنظمة تنظيمياً اجتماعياً) تلك العلاقة التي لا تتحدد فقط - حسب رأيهما - من واقع العلاقة القانونية بهذه الأصول، بل تتحدد من واقع العلاقات الفعلية بين الجماعات.

2- تحديد وضع هذه الطبقة بناءً على الطبقة التي يقوم بها داخل التقسيم الاجتماعي للعمل (العمل الذهني) ذلك أن هذه الطبقة بعد أن تبرز للوجود وتتجاوز مرحلتها التكوينية، حيث يشترك أعضاؤها في أسلوب حياة مشترك ، وخلفية تعليمية مشتركة،

¹:Robertschaeffer and janes wenstern: "between the line",in between labor and capital,by pat walker,op cit , p 147.

وشبكت علاقات القرابة ، ومعتقدات ...الخ ، ولا يمكن التوصل إلى هذه الأنماط الاجتماعية والثقافية المشتركة من خلال معيار العلاقة بوسائل الإنتاج .

بناءً على هذين المعيرين يمكن تحديد ماهية الطبقة الإدارية المتخصصة " تتحدد الطبقة الإدارية المتخصصة بوصفها طبقة تتكون من العمال أصحاب المرتبات الذين يقومون بأداء العمل الذهني والذين لا يملكون وسائل الإنتاج ، وتكون وظيفتهم الأساسية ، داخل التقسيم الاجتماعي للعمل هي إعادة إنتاج الثقافة والعلاقات الطبقية الرأسمالية " (1)

ويؤكد بارباراً وجون أنه من الصعب توضيح الحدود الفاصلة بين هذه الطبقة والطبقة الرأسمالية والعمالية ، ذلك أن هذه الطبقة تضم طائفة واسعة من الأفراد ذوي المهن والمهارات ، ومستويات الدخل ، المتنوعة ، والقوة والهيبة المتفاوتة إلا أنه يمكن توضيح الأسباب التي جعلتها تبرز للوجود وهي : (2)

1- أن الفئات الاجتماعية قد نما وتطور بدرجة تكفي لوجود واستمرار هذه الطبقة (الإدارية المتخصصة) إلى جانب الطبقة الرأسمالية.

2- أن العلاقة بين الطبقة البرجوازية والطبقة العاملة قد تطور وتعقد بدرجة أصبح من الضروري عندها وجود طبقة متخصصة في إعادة إنتاج العلاقات الطبقية الرأسمالية. كما أنه يمكن تحديد نوع العلاقة بين هذه الطبقة والطبقة العاملة والرأسمالية، فالعلاقة بين الطبقة الإدارية المتخصصة والطبقة العاملة هي علاقة عدائية بالضرورة ذلك أن الوظائف والمصالح الخاصة بين هاتين الطبقتين ليست وظائف ومصالح مختلفة فقط ، بل هي وظائف ومصالح متعارضة ذلك أنها تمارس نوع استغلال المهارات والثقافة الخاصة بالطبقة العاملة ، هذا من الناحية الوظيفية التي تؤديها كل طبقة داخل التقسيم الاجتماعي للعمل.

¹: Barbara and Jenrenrich : **the Professional Managerial Class** , ib pat walker (ed) between labor andcapital,the har vester press,London,1979, P12,

²: Ibid , p13.

كما أن العلاقة بين الطبقة الإدارية المتخصصة و الطبقة الرأسمالية هي أيضاً علاقة عدائية ، فعلى الرغم من أن الطبقة الإدارية المتخصصة تعتمد في وجودها واستمرارها كطبقة ، على الطبقة الرأسمالية ، فإنها تنظر إليها بوصفها عائقاً يحول دون تحقيق مصالحها. (1) بالرغم مما لمسناه من بعض التناقضات في طرح فكرة الطبقة الإدارية المتخصصة عند باربارا وجون خاصة عند تناول فكرة - العلاقة العدائية بين هذه الطبقة والطبقة الرأسمالية - فهذه المحاولة تمثل نقلة جديدة في وسط المحاولات الماركسية الجديدة التي سعت إلى عدم تجاهل قضية الطبقة الوسطى الجديدة ، بل حاولت أن تبحث عن معايير جديدة ثلاثم فهم الوضعية الطبقيّة المعقدة لهذه الطبقة ، تلك الوضعية التي كانت دافعا لنشأة محاولة أخرى أثارت كثيراً من النقاش داخل الاتجاهات المختلفة المعنية بقضية الطبقة الوسطى الجديدة وهو ما سنوضحه في الصفحات التالية .

4-2-3: الطبقة الوسطى الجديدة بوصفها أوضاع طبقية متناقضة (مدخل المواقع الطبقيّة

المتناقضة)

يعبر هذا المدخل إضافة إلى المداخل السابقة ، عن رؤية متطور للماركسية وأكثر موضوعية لاسيما في قضية الطبقة الوسطى ، حيث تنطلق من فرضية أساسية مفادها ، أن هذه الطبقة لا تحتل موقعا طبقيًا واحداً يمكن تصنيفه أو تسكينه داخل طبقة واحدة ، بل تحتل ما يمكن تسميته - بمواقع طبقية متناقضة - ذلك أنها تحمل في طياتها أوضاعاً خاصة بالطبقة البرجوازية كما تتماثل في جوانب أخرى من الطبقة العاملة فهي إذن طبقة تتمزق موضوعياً بين أكثر من طبقة .

ومن أهم من طور هذا المدخل " إريك أولين رايت ... هذا من خلاله تحليله للأوضاع الطبقيّة عبر حوار مع الأطروحات الماركسية وبدائلها التي سبقته ، محاولاً تطويرها وتقديم مدخل جديد، ينطلق من الرؤية الماركسية للطبقة ، ويتناسب في الوقت نفسه و خصوصية الأوضاع الطبقيّة داخل البناء الطبقي للمجتمع الرأسمالي في مستهل القرن الحادي والعشرين ويجعلها

¹ : ibid , pp17-22 .

في الوقت نفسه أقدر على تقديم تصور أفضل لتحديد المواقع الطبقيّة الخاصة بالطبقة الوسطى الجديدة، داخل هذا البناء الطبقي .

إن هذا المدخل يهدف إلى تقديم حل بديل للمشكلات الموجودة في تحليل البناء الطبقي - التي طرحت في السابق - فبدلاً من الإصرار على أن كل الفئات البيئية داخل البناء الطبقي تنتمي إلى طبقة بعينها ، أو تقع داخل موقع طبقي واحد ، فإن مدخل المواقع الطبقيّة المتناقضة يرى أن أوضاعاً بعينها يتم النظر إليها بوصفها توجد موضوعياً داخل أكثر من طبقة أو تتمزق موضوعياً بين الطبقات ، أي أنها تحتل أوضاعاً طبقيّة متناقضة داخل العلاقات الطبقيّة وتجدد الطبقة الوسطى الجديدة ، بشكل طرازي ، مثل هذه الأوضاع يجب دراستها بحد ذاتها ، بدلاً من طمسها من خلال إلحاقها أو دمجها في أوضاع قد تكون مختلفة عنها من الناحية الكيفيّة.

(1)

فمدخل إريك رايت للمواقع الطبقيّة المتناقضة يعتمد على تصورين أساسيين هما التصور الوظيفي والذي تنبأه من خلال محاولة ج كارشيدى الخاصة بتحديد الوضع الطبقي الذي يرتكز على :

1- ملكية / ملكية وسائل الإنتاج.

2- طبيعة الوظائف المؤداة (وظيفة رأس المال - وظيفة أداء العمل).

أما التصور الثاني فهو التصور البنائي الذي يحلّل الأوضاع الطبقيّة المتناقضة بناءً على العلاقات البنائية المتناقضة للهيمنة والخضوع داخل عملية الإنتاج ، وهو تصور يراه رايت أوسع من التصور الأول ، هذا التصور الأخير يحدد مزيداً من الأوضاع المتناقضة داخل عملية الإنتاج من ناحية ، وبين أنماط الإنتاج المختلفة من ناحية أخرى.(2)

فأطروحة المواقع الطبقيّة المتناقضة تدور حول تحليل ثلاثة أبعاد متداخلة ومترابطة من الهيمنة والخضوع ، داخل عملية الإنتاج ، تحكم في الوقت نفسه العلاقة بين العمل ورأس المال هي ، التحكم في رأس المال النقدي ، أي التحكم في تدفق الاستثمارات داخل عملية

1- E.O.Wright: « Varieties Of Marxist Conceptions Of Class Structure », Op.Cit.P.356

2 :ipid,p361

الإنتاج ، وفي توجيه كامل عملية الفائض (تراكم فائض القيمة) والتحكم في رأس المال الفيزيقي ، أي التحكم في الوسائل الفعلية للإنتاج داخل عملية الإنتاج - والتحكم في قوة العمل (1).

وهذه العلاقات الاجتماعية للإنتاج تتضمنها كل الطبقات في جميع أنماط الإنتاج * هذا ما أفرز مواقع طبقية متناقضة ، ضف إلى ذلك عدم تطابق الأبعاد الثلاثة للعلاقات الاجتماعية للإنتاج داخل نمط الإنتاج الرأسمالي بذاته (هذا التصور مكثنا من تتبع حركية الأوضاع البينية المتناقضة داخل أنماط الإنتاج المحلية ، وبالتالي طرح مشكلة الطبقة الوسطى بطريقة جديدة ، فبناء على المنطلق الذي يطرحه هذا التصور يمكن القول :²

1- أن أوضاعا طبقية بعينها تعد أوضاعاً لا هي مستغلة ولا مستغلة.

2- تتعرض الفئات التي تنتمي للطبقة الوسطى الجديدة إلى الاستغلال لكونهم لا يملكون وسائل الإنتاج ، ويعملون بأجر لدى الطبقة الوسطى ، ولكنهم يمارسون في الوقت نفسه شكلاً من الاستغلال من خلال امتلاكهم لمهارات أو مؤهلات معينة ، أو وضعهم داخل بناء السلطة في التنظيمات المختلفة .

تعتبر هذه الأوضاع المتناقضة عن أوضاع الطبقة الوسطى باعتبار أن هذه الأوضاع تحتل - مواقع متناقضة - داخل علاقات الاستغلال متعدد الأبعاد التي تشكل البناء الطبقي وعلية نجد أن الفئات التي تشكل قوام الطبقة الوسطى الجديدة (وفق مدخل إريك) يمكن أن تتعرض للاستغلال ، على مستوى بعينه من المستويات ، لكنها تمارسه في الوقت نفسه على مستوى آخر ، وعلية فهي تحتل مواقع طبقية متناقضة داخل علاقات الاستغلال متعددة المستويات.

هذا المدخل يقدم لنا طريقة منهجية أكثر تماسكا لفهم الوضع الطبقي للطبقة الوسطى الجديدة، كما يمكننا من فهم الاختلافات النوعية بين الأنماط المختلفة للأبنية الطبقيّة من ناحية ، وتقديم تصور أمبريقي دقيق لدراسة العلاقة بين البناء الطبقي والتكوين الطبقي ، نستطيع من خلاله أن نكشف عن طريق " توالد " المواقع البنائية داخل الخريطة الطبقيّة لمجتمع بعينه .

¹ : ibid , p329 .

وفي الأخير يمكن القول بأن رايـت في تناوله للبناء الطبقي وتكوينه ركز على مفهوم الاستغلال أكثر من ارتكازه على مفهوم الهيمنة في تحديد الموقع الطبقي للطبقة الوسطى بصفة خاصة.